اسم الدرس : تفسير سورة الكهف (١) | الآيات [١ : ٨]

تصنيف الدرس : مجلس تفسيـــر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، أهلًا وسهلًا بكم في مجالس القرآن مرة أخرى، أعتذر عن طول التوقف الفترة الماضية؛ بسبب أحداث كورونا والانشغال، أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يشفي مرضى المسلمين.

أحبتي في الله، حتى لا أطيل عليكم عودة مرة أخرى إلى مجالس القرآن، أسأل الله- سبحانه وتعالى- أن يتمها لنا على خير، وأن يجعلني وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته.

حقيقةً يعني عندما ينتهي الإنسان -بفضل الله سبحانه تعالى وكرمه- من سورة أو من مجالس سورة يظل يفكر كثيرًا في السورة التي تليها، وهذا لعظمة كتاب الله -سبحانه وتعالى- ، وتنوع معانيه وتشعب الأفكار التي يقدمها لنا القرآن.

ثم أيضًا من الأسباب التي تجعل الإنسان يتحير في اختيار السورة: 'الأحداث التي نمر بها'، فالإنسان يريد أن يعايش بالقرآن الواقع، لا نريد أن ننفصل بكتاب الله -سبحانه وتعالى- عن واقعنا، فالقرآن نزل لنعيش به في الحياة {أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ}[الأنعام:١٢٢]، هذا الذي جعل الله له النور، لم يكتفِ بالنور لنفسه، بل مشى بهذا النور بين الناس!

فنريد أن يرزقنا الله النور، ثم نسير به في الناس؛ فلذلك كنت مشغولاً في اختيار السورة التي نقبل عليها: هل نستعين بالله ثم نكمل السور المتبقية من الجزء التاسع والعشرين- أسأل الله أن يمن علينا بذلك- أو اختيار سورة أخرى؟

ومنذ فترة وأنا حقيقةً أميل لتفسير سورة الكهف- مع بعض الرسائل التي جاءت تطلب السورة-؛ لأن سورة الكهف سورة عظيمة حقًا، سورة لها خصوصية معينة وسنتكلم -إن شاء الله- عن خواص سورة الكهف، وأن هذه الخواص ليست اجتهادية فقط، فلسنا نحن الذين جلسنا نفكر.. نريد سورة محورية في موقعها وفي فضائلها؛ بل هي توقيف من النبي -صلى الله عليه وسلم- فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يفتح لنا هذه الرحلة وأن ييسر لنا وأن يتم لنا هذه الرحلة مع هذه السورة (سورة الكهف).

بعض الإشارات أريد أن أقدمها قبل أن نبدأ في السورة – خاصة أن هذا المجلس اليوم أشبه بمقدمة إن شاء الله للسورة–، من الصعب أن نأخذ التفاصيل، من الممكن أن نتناول بعض أول آيات في السورة، نحن –إن شاء الله– في تقدم، وأسأل الله أن ييسر مقطع فيديو أشرح فيه كيف يبدأ من يريد أن يستمع لمجالس القرآن.

فنحن كلما نتقدم في الزمان، كلما اتسعت المعارف و ازددنا في القراءة وازددنا في الاطلاع، ونكتشف أخطاء قديمة كانت عندنا، فستجدون –بإذن الله سبحانه وتعالى– مع تقدم الزمن في مجالس القرآن أنها غير مجالس القرآن التي كانت موجودة عام ٢٠١٠ م، غير التي كانت موجودة عام ٢٠١٤ م، غير التي كانت موجودة ٢٠٢٠ م إن أحيانا الله مستقبلًا.

مع تقدم الزمان تزداد المعارف، يكتشف الإنسان الأخطاء، يُنوع الإنسان في الطريقة، فقد تحدث مفارقات أو مباينات في بعض الطرق، فأُحبّذ أن من يستمع إلى مجالس القرآن يبدأ بالمجالس القديمة، يبدأ بالمفصل في القرآن، أن يبدأ مثلًا بالمكي: (فاطر وسبأ ويس والأنعام).

لأننا مع التقدم جاءت نصائح، منها الإكثار من استعمال اللغة العربية، منها إسناد الأقوال إلى المفسرين، منها التفصيل في مواطن والإجمال في مواطن.

أريد أن أشير إلى أنه –أحيانًا– سأعتمد إن شاء الله في المجالس أن الجمهور الذي يستمع يشارك، لكي لا يطول وقت الحلقة، لن أسرد كل شيء، فمثلًا قصة طويلة أقول راجعوها في تفسير ابن كثير، معنى طيب جميل مبدع، لا أستطيع أن أستوعبه في المجلس، أقول راجعوه في كتاب كذا، فإن شاء الله أريد منكم مشاركة بحيث أن يكون هناك نوعًا من التفسير التفاعلي، هذه الآية راجعوها في تفسير كذا.

أيضاً هذا أقوله في سورة الكهف، لأن سورة الكهف –وأنا في مرحلة التحضير للسورة– فوجئت بكم رهيب من الكتب في سورة الكهف، وهذا من فضل الله – سبحانه وتعالى–، هذا غير التفاسير.

فالإنسان عندما يرجع للتفاسير الرئيسية التي عليها محور التفاسير، من الممكن أن تصل مجموعة من التفاسير إلى عشرين تفسيرًا مثلًا، ثم تُفاجأ أن هناك تفاسيرًا أخرى مَنّ الله –سبحانه وتعالى– على أصحابها بفوائد دقيقة، ثم تُفاجأ بكمية المعاصرين الذين كتبوا في سورة الكهف، عدد مهول.

هناك قناة على التليجرام -اسمها رياض القرآن- بإشراف الدكتور محمد الفايز، عليها حقيقةً كنوز في كل سورة، الدكتور -حفظه الله- كان مع كل سورة يذكر كل ما كُتَب في هذه السورة، فتُفاجأ بِكَمّ عظيم من الدراسات التي كتبت في سورة الكهف، وأسأل الله -سبحانه وتعالى- السداد لأشير إلى أهم ما وقفتُ عليه، والباقي تَرجعون إليه بالبحث بإذن الله -سبحانه وتعالى- عما كُتَب في سورة الكهف.

فالخلاصة، يستحيل أن يحيط إنسان في كتاب أو في مجلس أو في مجالس بما في السورة بالطبع، {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ}[البقرة:٢٥٥]، يعني هذا مفروغ منه، لن نستطيع أن نحيط بمعاني سورة الكهف، نحن فقط سنعطي إشارات، أنوار سريعة فقط على بعض الأماكن، لكن أقول حتى لن أستطيع أن أحيط بكل ما كُتَب، الأمر مهول فعلاً!، وهذا من عطايا القرآن، وهذا مما يجعل الإنسان يزداد انبهارًا بكتاب الله -سبحانه وتعالى- أردت أن أؤكد على هذه المقدمة.

نبدأ في سورة الكهف.

سورة الكهف- بالطبع- سورة مكية، كما قال ابن مسعود: "هي من العِتاق الأُوَل، وهي تلادي"، أي من السور القديمة على خلاف متى نزلت، وراجعوا الكتب التي تهتم بوقت أسباب النزول مثل: مقدمة ابن عاشور، أو في مقدمة التفسير لسورة الكهف للقرطبي، بعض التفاسير التي تهتم بذلك.

أيضًا سبب نزولها فيه كلام طويل، هل نزلت لأسئلة اليهود للنبي -صلى الله عليه وسلم -، أو غير ذلك؟ وإن شاء الله ممكن مع الوقت نشير إلى بعض هذه الأشياء، فالسورة مكية.

موقع السورة في المصحف:

دائمًا نحاول أن ننظر إلى وقت نزول السورة، إلى موقع السورة في المصحف، فمثلًا عندنا سورة الكهف تقريبًا في منتصف القرآن، هذا على اعتماد -مثلما ذكرنا- أن الأمر فيه خلاف، وأنا أميل إلى أن ترتيب السور في الأغلب الأعم هو توقيفي، -ومثلما قلتُ- حتى الخلاف هو توفيقي، وفَّق الله الصحابة لذلك أم هو توقيفي؟

فلا يجوز الآن أن نفعل بالمصحف ترتيبًا مخالفًا لهذا الترتيب، فإذًا نبحث عن الحكمة في هذا الترتيب.

أيضًا سنبحث بإذن الله –سبحانه وتعالى– في هذه الحلقة عن خواص سورة الكهف، ستكون مع شرح سريع للمقدمة، فاليوم نريد أن نتكلم عن: *موقع سورة الكهف في المصحف.

*نريد أن نتكلم عن خواص هذه السورة.

*نريد أن نتكلم عن المقدمة لهذه السورة.

فعندما ننظر لموقع سورة الكهف، من الممكن أن نقول أن هناك نظرية اجتهادية –قد تكون خاطئة–، قد ذكرتها في أكثر من درس، أظن ذكرتها في [مقدمة سورة غافر، وفي مقدمة سورة فصلت في شرح آل حم]، وهذه الدروس موجودة صوتيًا على الساوند كلاود، قد تكون رُفِعَت على اليوتيوب لكنها لم تسجل مرئية، وذكرتها أيضاً في [مقدمة سورة مريم]، ذكرتها في بعض السور، ذكرتها – أظن– في [مقدمة سورة الإسراء]، هناك درس عن سورة الإسراء.

ولارتباط سورة الكهف بسورة الإسراء، أرجو العودة إلى سماع مقدمة الدرس الموجود عن سورة الإسراء.

لماذا؟

هذه النظرية أظن –والله أعلى وأعلم– أن ترتيب سور المصحف له دلالات كثيرة، ليس دلالة واحدة، يعني من الممكن أن يلتقط إنسان معنى في الحكمة من ترتيب السور: البقرة ثم آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال.

فيجد حكمة معينة في هذا التناسق، وكثيرون بحثوا في ذلك؛ ابن الزبير الغرناطي، وتلميذه البقاعي وغيرهم، بحثوا سواء من المتقدمين أو المتوسطين أو المتأخرين في هذه الدلالات.

كنت ذكرتُ أني أشعر –والله أعلى وأعلم– أن ترتيب سور القرآن يشير إلى بعض الدورات الزمنية، هناك دورات تمر ما بين استضعاف ثم تمكين ثم استضعاف ثم تمكين ثم استضعاف ثم تمكين، إلى أن ينتهي المصحف.

ويبدأ القرآن – لو أمكن أن نسميها– بـ (دورة حضارية)، أو نسميها دورة بين الاستضعاف والتمكين –أيًا كان–، بدأ بالتمكين –مرحلة من التمكين– من أول البقرة، آل عمران، النساء والمائدة.

ونجد أن معدل التمكين يزداد، فمثلًا:

*سورة البقرة معدل تمكين المجموعة المؤمنة التي بدأت في المدينة مع بدايات التشريعات.

*ثم بعد ذلك العدو الخارجي الذي يريد أن يهاجم على مستوى الأسلحة أو على مستوى الشبهات.
*ثم بعد ذلك إقامة العدل في المجتمع في سورة النساء.

*ثم بعد ذلك العهود والمواثيق الداخلية والخارجية الموجودة في سورة المائدة حتى نصل إلى قمة التمكين في سورة المائدة.

نجد أن سورة البقرة ممكن نقول أنها بدأت في المنتصف، ثم نصعد نصعد نصعد إلى قمة التمكين في سورة المائدة ثم نعود مرة أخرى إلى بدايات الاستضعاف في سورة الأنعام ثم صعود مع سورة الأعراف، ثم أول المدينة في الأنفال، ثم آخر المدينة في التوبة، ثم نعود مرة أخرى مع يونس.. يأتي شوط طويل في "الر" وتتوسطه "المر" الرعد، شوط طويل من الاستضعاف.

وهكذا دورات الاستضعاف والتمكين تستمر – مع اختلاف وجهات النظر– متى تبدأ الدورة أو تنتهي...

وهذا اجتهاد شخصي، وأؤكد أنه اجتهاد شخصي قد يصيب وقد يخطئ.

حتى نصل إلى نهاية المصحف، نجد أنها سورة في قمة التمكين (سورة النصر)، ثم سورة في قمة الاستضعاف، (سورة المسد).

ونجد أن مناطق الاستضعاف أو دورات الاستضعاف أطول وفي هذا دلالة وإشارة أن الفترات التي ستمر على الأمة الإسلامية من الاستضعاف أطول من فترات التمكين، وكان هناك درس طيب–للدكتور راغب السرجاني – في الحكمة من طول فترات الاستضعاف وقصر فترات التمكين؛ فالقرآن المكي أكبر من القرآن المدني كإشارة –والله أعلى وأعلم– إلى طول فترات الاستضعاف وقصر فترات التمكين.

آخر المصحف قبل النصائح العملية أو المعوذات أو الخروج بالسور الثلاث التي بدايتها {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}، هذه ختام المصحف، قبل الختام- كما قلت- أعلى سورة في التمكين، (سورة النصر) الكل يأتي أفواجًا.

بعد ذلك أعلى سورة في الاستضعاف هي سورة (المسد)، الكل ينصرف عن النبي —صلى الله عليه وسلم- أفواجًا لما وقف يخبرهم، فجاء أبو لهب فقال له: "تبًا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟" فانصرف، وكان يصرف الناس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- [١].

فآخر سورة (المسد): الناس تنصرف عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، والسورة التي قبلها (النصر): الناس يأتون إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-، فآخر شيء في سورة المسد الاستضعاف، ونرجع مرة أخرى إلى بدايات التمكين في سورة البقرة.

لماذا نذكر تلك الأشياء؟

لو افترضنا أن هذه الإشارات صحيحة، فأنا أظن أن **سورة الكهف هي أصلًا دورة بمفردها**، أي هي دورة بكل خصائصها.

فتظل الدورة التي فيها استضعاف و تمكين، هي بدأت بتمكين في البقرة، ثم استضعاف في الأنعام والأعراف، ثم تمكين، ثم استضعاف، حتى نصل إلى الإسراء التي تشير إلى دلالة من دلالات التمكين؛ لأن دائمًا المسجد الأقصى هو أشبه بـ((ترمومتر التمكين)) في الأرض، غالبًا بالاستقراء، بمعنى أنه قد يكون ناقصًا -وهو ناقص بالفعل-، أن ترمومتر التمكين في الأرض يكون عند المسجد الأقصى.

وأن دائمًا المعارك النهائية -المعارك بين المسلمين واليهود- تكون عند المسجد الأقصى، وسنشير إلى أن الدجال يُقتَل عند المسجد الأقصى مع استعمال سورة الكهف.

---

[١] [عن عبدالله بن عباس:] صَعِدَ النبيُّ ﷺ الصَّفا ذاتَ يَومٍ، فَقالَ: يا صَباحاهْ، فاجْتَمعتْ إلَيْهِ قُرَيْشٌ، قالوا: ما لَكَ؟ قالَ: أرَأَيْتُمْ لو أخْبَرْتُكُمْ أنَّ العَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أوْ يُمَسِّيكُمْ، أما كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟ قالوا: بَلى، قالَ: فإنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ فَقالَ أبو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، ألِهذا جَمَعْتَنا؟ فأنْزَلَ اللَّهُ: {تَبَّتْ يَدا أبِي لَهَبٍ}
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٤٨٠١ • [صحيح]

فإذًا الإسراء تشير إلى نوع من أنواع التمكين يعني: تأهيل للمجتمع المدني بـ "الوصايا العشر"، -كما يسمونها- المذكورة في آخر الأنعام والمذكورة في أول الإسراء، والمذكورة في التوراة، إشارة إلى بناء دولة ومجتمع مدني.

تأتي سورة الكهف -أنا أظن أن الأمثلة الأربعة الموجودة في الكهف هي دورة متكاملة تبدأ من قمة الاستضعاف عند أصحاب الكهف، ثم انفراج في الدعوة قليلًا مع صاحب الجنتين، ثم أعلى التمكين مع صاحب القرنين، - سنذكر إن شاء الله النقلة التي حدثت في قصة موسى والخضر-، لكن دعونا نقول أن السور تسير هكذا بمنحنى من الاستضعاف -قمة الاستضعاف في الكهف في قصة أصحاب الكهف- إلى قمة التمكين في قصة ذي القرنين.

لو افترضنا أن هذا المعنى صحيح، إذًا سورة مريم لابد أن نجد فيها أنها أيضا تتكلم عن قمة الاستضعاف، وكنت أشرت لهذا المعنى في درس "نحو منهجية مقترحة لمعايشة سورة من القرآن الكريم".

فعندما نبحث مثلًا في سورة مريم وأيضًا في تفسير سورة مريم -وهو موجود على الساوند كلاود- في مسألة أن الذي يقرأ سورة مريم بمعايشة أو بنفسية الشخص الفرد الذي بدأ بمفرده، ويبحث عن أنصار -يريد أن ينصر الدين- يجد هذا واضحًا في سورة مريم، أي أن الشخص الذي يبحث عن أنصار مثل سيدنا زكريا يبحث عن أنصار {يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ}[مريم:٦]، يريد أن يأتي شخص يحمل معه الدين.

فترة المخاض، وهذه الكلمة من فرائد السورة، قلت في درس منهجية مقترحة: أن من وسائل الوصول: أن هذه السورة لها خصائص، أن تُذكر كلمة في المصحف كله في سورة واحد فقط التي نسميها (الفرائد القرآنية)، مثل ما يكون في مذهب فقهي له مفردات.. مفردات الحنابلة، المفردات الشافعية انفردوا بقول..، فكذلك سورة انفردت بلفظ، فلفظ المخاض أن البداية، البحث عن الأنصار، البحث عن النصرة هذا موجود في السورة.

الجيل الفاسد الذي لا ينصر الدين، {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ}[مريم:٥٩]

البحث عن الجيل الصالح الذي يريد أن يحمل هم هذا الدين، هذا في سورة مريم، وتجد المنحنى يرجع للصعود ثانيةً، إذًا سورة مريم، بعد ذلك سورة طه، الأنبياء؛ لتصل إلى الحج.

الخلاصة: أن سورة الكهف -ونحن نقرأها أسبوعيًا- يُستحَب لنا.. ((على القول بتصحيح هذه الأحاديث، وأنا أميل إليه ونقلد فيه الشيخ الألباني -رحمه الله-، وكثير من الأئمة المتقدمين - حتى الإمام أحمد- وإن كان لا يري تمام صحة هذه الأحاديث لكن كان يقرؤها ويقول الأكابر من قبلي كانوا يقرؤونها في يوم الجمعة)).

بل كنت قرأت أثرًا قبل الدرس بحثت عنه ولم أجده، أن الإمام أحمد كان في زمن الفتنة أيضًا يكثر من قراءة سورة الكهف، وسأشير إلى ذلك في علاقة سورة الكهف بالفتنة إن شاء الله، ومن مِن المتقدمين كان يحرص على قراءة سورة الكهف؟.

فإذًا سورة الكهف حينما نقرؤها بصورة أسبوعية، أنت أسبوعيًا تعيش مع كل المراحل مع كل النماذج؛ لأن القرآن يقدم لنا النماذج المتنوعة التي تتناسب مع كل الفترات.

فمثلًا أنت في فترة استضعاف تقدم عملًا، وفي قمة الاستضعاف تقدم عملًا، وعند الاستضعاف البسيط هناك عمل، في فترة علاقات ما بين العاملين لدين الله- مثل موسى والخضر-، هناك عمل تقدمه، فترات تمكين: هناك عمل تقدمه، في كل الفترات هناك أعمال تُقَدّم، هناك نماذج تتأسى بها، {وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ}[النور:٣٤]

القرآن يقدم الأمثال من قصص سابقة ويُنوّع في الأمثال ويُصّرف في القصص؛ لتبحث عن النموذج الذي تقتدي به، الاستضعاف في مؤمن آل ياسين، التمكين في ذي القرنين، أنت تبحث عن النموذج الذي تقتدي به، ويكون أسوة لك في كل مرحلة تمر بها فأنت في كل أزمة، في كل مرحلة هناك نماذج تمر بها و تعايشها في القرآن؛ لتطبق هذا النموذج على الأرض.

إذًا عندما ننظر لموقع سورة الكهف في منتصف القرآن، تجد كأنها دورة مكتملة، قبلها سورة الإسراء - وبالطبع لن أستطيع في الدرس أن أشرح مقدمة سورة الإسراء مرة أخرى، راجعوا الدرس الموجود عن سورة الإسراء الذي يتكلم عن شرح آيات {وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا}[الإسراء: ٧٤]-.

تكلمت في مقدمة سورة الإسراء في إشارة إلى التمكين، بانتقال النبي -صلى الله عليه وسلم- من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم جاءت بعد هذه الآية آيتان عجيبتان كمقدمة لسورة الإسراء، لفتت أنظار بعض المفسرين أنه:

{وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا * ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ}[الإسراء:٢-٣]

من وسط التاريخ الزمني لكل البشرية، من لحظة خلق آدم إلى بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-، بدأت سورة الإسراء بالتقاط مشهديْن اثنيْن فقط، مشهد إيتاء موسى الكتاب، ثم مشهد إنجاء ذرية نوح، {وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ}، الآية الثالثة: {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ}.

من وسط التاريخ كله، التقطت سورة الإسراء هذين المشهدين، كنت ذكرت هذه الدلالة في مقدمة سورة الإسراء في درس "وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ"، في مسألة أن من سنة الله -سبحانه وتعالى- في التاريخ أن الأمم التي كانت تُكذّب يهلكها الله -سبحانه وتعالى- بعذاب عام، حتى لحظة تاريخية معينة لم يعد هناك العذاب عامًا؛ بل أُمرنا نحن بالقتال والجهاد..

قال النبي-صلى الله عليه وسلم-

-يوجد آثار راجعوها بالتفاصيل في مقدمة سورة الإسراء، وموجودة في تفسير آية في سورة (القصص)، وفي آية في سورة (المؤمنون) أشار إليها شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقل الإشارات هذه الإمام ابن كثير في التفسير- في حديث أبي سعيد الخدري- أن الله -سبحانه وتعالى- من بعد إيتاء موسى الكتاب لن يُهلك أمة بعذابٍ عام.

إذًا لحظة إيتاء الكتاب لموسى- عليه السلام - الذي يبدو أنه يحتوي على تشريعات، وإقامة مجتمعات وجهاد وقتال، لم يعد هناك إهلاك عام.

فإذاً سورة الإسراء كانت تشير إلى بداية الجهاد وإقامة الدولة، ثم بعد ذلك تأتي مرحلة الاستضعاف في الكهف ونصل إلى قمة التمكين في قصة ذي القرنين، ونبدأ دورة جديدة مع سورة مريم.

لكن لكي تستحضر الصورة لديك -للأسف- ستضطر إلى أن تَرجع وتسمع الدروس التي أشرتُ إليها؛ وخصوصًا "مقدمة سورة الإسراء" الموجودة في درس "لولا أن ثبتناك" و "مقدمة سورة مريم" الموجودة كوقفات مع سورة مريم.

إذًا سورة الكهف سورة محورية، تجعل الإنسان يعايش كل المراحل مع نماذج مختلفة، هذا كموقع السورة.

فإذا قلنا ما هي خواص سورة الكهف؟

خواص سورة الكهف:

كل سورة لها خصائص، كيف نصل إلى خصائص كل سورة؟ أيضًا ذكرت هذا في درس "نحو منهجية مقترحة لمعايشة سورة قرآنية"،

الخواص نوعان:

خواص توقيفية: أبحث في الآثار التي وردت إلينا عن النبي -صلى الله على وسلم- أو عن الصحابة، لعل هذا الأمر يكون توقيفيًا، وله حكم الرفع للنبي -صلى الله عليه وسلم-.

أو أن نجتهد، هل نجتهد يعني أننا سَنؤُلف فضائل؟

لا، نجتهد بمعنى أن نبحث في السورة، ما الذي ميّز سورة الكهف عن باقي السور؟

هناك كتاب جيد وكنت دائمًا أحب أن أشير إليه؛ لأنه مرتب ومنظم ودائمًا الكتب المتأخرة تجمع الكتب المتقدمة، كتاب اسمه "خواص القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية"، إذا نظرت في سورة الكهف تجد أغلب الآثار الواردة، ويقسم الآثار الواردة إلى صحيح، ثم شرح مبسط لها،

ثم الآثار الضعيفة الواردة التي وجدت، وهناك كتب كثيرة، ورسائل متأخرين وردت تحت عنوان:

"الأحاديث والآثار في فضائل سور القرآن الكريم"، وتحت هذا العنوان مع بعض التغييرات هناك كتب كثيرة.

وهنا سننظر إلى سورة الكهف من زاويتين وهما:

١-الزاوية الأثرية: وهي الآثار الواردة في سورة الكهف.

٢-الزاوية الاجتهادية: فننظر ما الذي يميزها؟ فلو فتحت المصحف ونظرت في سورة الكهف، **ما هي الخصائص التي ميّزت سورة الكهف عن غيرها من السور؟**

أولًا: الخصائص الأثرية: عندما نجمع الخصائص التي وردت في سورة الكهف -لأن الآثار كثيرة- وتختلف درجات صحتها، فمنها ما هو صحيح -أي في الصحيحين-، ومنها ما هو في أحد الصحيحين، ومنها ما هو في كتب السُّنن، ومنها ما هو خارجها؛ فنجد أن سورة الكهف لها ثلاث فضائل رئيسية، فإذا صُحِّحت معظم الأحاديث مثل تصحيحات الإمام بن حجر -رضي الله عنه- وتصحيحات الشيخ الألباني -رحمه الله-، نجدُ أنَّ مُجمل الفضائل الواردة في سورة الكهف تدور حول ثلاثة محاور:

-السكينة.

-النور.

-الحفظ والعصمة من الفتنة.

مرة أخرى.. أنا سأذكر الآن بالتفصيل لكني أريدك أن تنظر نظرة عامة للذي تخرج به من سورة الكهف، **سورة الكهف تعطينا السكينة، تعطينا النور، تعطينا الحفظ والعصمة من الفتنة.**

فكل مؤمن راغب في الوصول إلى الله يريد نورًا في الطريق، وحفظًا من الفتن، وسكينة أثناء السير، فكل سائر إلى الله -سبحانه وتعالى- حتى يصل إلى الله -سبحانه وتعالى- ويصل إلى الفردوس -ولم تُذكَر كلمة "الفردوس" على عِظمها في القرآن بأكمله إلا مرتين مرة في ختام سورة الكهف وهذا مما ميزها والأخرى في مقدمة سورة المؤمنون - يحتاج لهذه الخصائص: -يريد نورًا معه في الطريق.

-يريد حفظًا من الفتن التي تقتحم عليه الطريق.

-يريد سكينة أثناء السير.

فمن الممكن أن يسير الإنسان في هذه الطريق مُعذَّبًا ومتألمًا في شقاء، كما قال ربنا -سبحانه وتعالى- في سورة طه: {مَآ أَنزَلنَا عَلَيكَ ٱلقُرءَانَ لِتَشقَىٰٓ}[طه:٢]

والظِلال أبدع في شرح هذه الآية في: كيف أن الإيمان يُحوِّل الشقاء إلى لَذَّة ومتعة {إِن تَكُونُوا تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ}[النساء: ١٠٤].

هناك مشاعر كمشاعر الأم التي تحب الطفل ثم تقوم برعاية الطفل، فهي تتعب وتقوم وتسهر، لكن هذه من لذات الحياة، من متع الحياة {ٱلمَالُ وَٱلبَنُونَ زِينَةُ}[الكهف: ٤٦].

وأنا أعتذر منكم إن أنا لم أستطع أن أستوعب سرد كل الأحاديث، سأحيلكم على ((تفسير ابن كثير)) في مقدمة السورة ذكر بعض الآثار، وبعض خواص السور، وأي كتاب لفضائل القرآن الذي يُقسَّم في آخره مجموعة من السور فيذكر فضائل سور القرآن سورةً سورة مثل كتاب ((فضائل القرآن)) لأبي عبيد القاسم بن سلام، أو ابن كثير، ستجدون الكثير من الكتب، أو حتى كتب السنن هناك فصل في الصحيحين والذي يتحدث عن سورة الكهف، وفي كتب السنن وبالبحث.

لكن أنا لن أستطيع أن أستوعب السرد، إنما سأذكر بعض الأحاديث وبعض الروايات كمجمل ما أريد أن آخذه، وستكون هذه طريقة تفسيرنا لسورة الكهف، لن أسير بصورة تحليلية تفصيلية، في المجمل السورة تحتاج منا إلى ما يقرب من عشرين درسًا- مثل سورة الأنعام-، ولكن سنحاول ضغط السورة في ستة دروس قدر المستطاع إن شاء الله -سبحانه وتعالى-.

فالنَّاظر لسورة الكهف يجد السكينة، وحديث السكينة موجود في البخاري نصًا: عندما كان الصحابي -قيل أنه أُسيد بن حضير- يقرأ القرآن وهو يقوم الليل فكانت فرسه تتحرك حتى خشي على ولده، وكانت هناك سحابة تغشاه فسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال له: (تلك السكينة تنزلت لقراءة القرآن)[٢] .

[٢] [عن البراء بن عازب:] بينما رجلٌ يقرأُ سورةَ الكَهفِ إذ رأى دابَّتَه تركضُ فنظرَ فإذا مثلُ الغمامةِ أوِ السَّحابةِ فأتى رسولَ اللهِ ﷺ فذكرَ ذلِكَ لَه فقالَ النَّبيُّ ﷺ تلكَ السَّكينةُ نزلت معَ القرآنِ أو نزلت على القرآنِ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترمذي ٢٨٨٥ • صحيح • أخرجه البخاري (٤٨٣٩)، ومسلم (٧٩٥)، والترمذي (٢٨٨٥) واللفظ له، وأحمد (١٨٤٩٧) •

فالنبي قال عن الصحابي الذي يقرأ سورة الكهف أن في لحظة قراءة الكهف تنزلت السكينة، وهناك خلاف بين الأحاديث والشرّاح أن السورة التي كان يقرؤها هي سورة البقرة ولكن توجد روايات كثيرة منصوص عليها أنها كانت سورة الكهف ، مع أن القرآن كله سكينة وخاصة البقرة والكهف، وأكثر الروايات على أنها الكهف؛ فإذا بحثت بكلمة "تلك السكينة" تجد أن أكثر الروايات وردت مع سورة الكهف.

لذا أول شيء السكينة وإحساس السكينة في الأصل تحتاجه –وهذا شيء عجيب–، ومن المشاريع التي أتمنى تنفيذها وأدعو إخواني القائمين على تفسير القرآن –لو لم يُقدَّر لي الحياة بأن أكملها– وهو تفسير القرآن تفسيرًا موضوعيًا، وجزى اللهُ خيرًا القائمين على مسألة المصطلحات الواردة في القرآن ودراستها دراسة موضوعية منهم الدكتور: "شاهد بوشيخي" –حفظه الله–.

فلو بحثنا عن كلمة "السكينة" نجد أن السكينة جاءت ست مرات في القرآن، والمواطن التي جاءت فيها السكينة كلها مواطن جهاد وهجرة أي مواطن بها اضطراب، فتجد:

–في سورة البقرة: التابوت فيه سكينة.

–ومرتان في سورة التوبة في أثناء الجهاد.

–وثلاث مرات في سورة الفتح مع الأزمات التي حدثت في سورة الفتح مع صلح الحديبية؛ فالمؤمن في وقت الأزمات يحتاج إلى سكينة.

وسورة الكهف كلها حركة واضطرابات، سورة كلها أزمات، سورة تحتاج إلى أبطال؛ فالقارئ لسورة الكهف يعايش الأحداث كأنه جزء منها لا يكاد يلتقط الأنفاس، فيذهب مع أصحاب الكهف وكأنه يراهم حتى لا ينتظر فترة فيجد ويراقب الشمس وحركتها، وينظر إلى الكلب، ولا ينتظر انقضاء فترة سباتهم في الكهف حتى يبعثهم الله، ويسير مع صاحب الجنتين، ويذهب مع موسى والخضر، ويذهب إلى مجمع البحرين، ثم يسير مع ذي القرنين، إلى آخر مكان الشمس والمشرق والمغرب، سورة كلها مليئة بالحركة.

أن تصحبك السكينة في حركتك، في سيرك في الحياة؛ أمر مهم؛ لأن غياب السكينة يؤدي إلى اضطراب، فترى الأشياء على غير حقيقتها.

المعنى الثاني في فضائل سورة الكهف –وهو مهم جداً–، فالدرس كما قلنا وتكلمنا عن موقع السورة وأهيناها، والخواص بنوعيها توقيفية واجتهادية، والآن نتحدث في القسم الثاني الجزء الأول منه وهي خواصها الجزء الأثري، نجمع ما نخرج به.

فقلنا نخرج بالسكينة –إن شاء الله–، والنور، قال النبي –صلى الله عليه وسلم– ،–وهناك خلاف في تصحيح الآثار كما أشرت–: أن الذي يقرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاءت له أو أضاء الله له من النور، فهي تعطيه نورًا، سواء قيل إنه من الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام أو ما كان إلى البيت العتيق، أيًا كان ما نُقل من الآثار فإنها تعطينا نورًا.

وكما قلنا إن السائر في الطريق إلى الله يحتاج إلى نور، بل أعلى صور ولاية الله للعبد أن يعطيه النور {ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ}[البقرة:٢٥٧]

أعلى صور الولاية أن يخرجك الله من الظلمات إلى النور، فالله –سبحانه وتعالى– يخرجنا إلى النور من خلال القرآن كاملًا، وسورة الكهف خصوصًا تعطينا النور، فالنور يعطينا ضياء وهداية.

وأيضًا تعطينا العصمة والحفظ –وهذا متواتر وموجود بصورة متواترة–؛ أي أنه إذا كانت مسألة النور فيها بعض الخلاف فمسألة العِصمة والحفظ من الدجال موجودة في كثير من الأحاديث في صحيح مسلم وفي غيرها، أنَّ من حفِظ أول عشر آيات، أو آخر عشر آيات، فواتح سورة الكهف، قرأ سورة الكهف، فإنها تحفظه من أعظم فتنة في التاريخ.

وسيأخذنا الحديث هنا إلى الحديث عن الدجال، سأشير إلى بعض المراجع للقراءة عن قضية الدّجال؛ لأن ارتباط سورة الكهف بالدجال قد يعطينا مفتاح لفهم السورة، بل هذا كان هو المفتاح الرئيسي الذي ولج منه "أبو الحسن الندوي" –رحمه الله– لفَهم سورة الكهف من خلال قضية الدجال.

فله كتيب رائع اسمه "الصراع بين الإيمان والمادة من خلال سورة الكهف"، ثم جُمِعَت كل مقالات أبو الحسن الندوي –رحمه الله– في كتاب عن القرآن وعن بعض الدراسات القرآنية في سورة الإسراء وسورة الكهف وسورة مريَم وبعض قصار السور، جُمِعَت في كتاب طيب اسمه "دراسات قرآنية" طبعة ابن كثير.

سنجد أنه أشار في هذا الكتاب أنه كان يشغله هذا الحديث كثيرًا، فربط أحاديث حفظ المؤمن من الدجال من خلال سورة الكهف، وكان مفتاحًا ولج به إلى فهم سورة الكهف وأبدع فيه حقيقةً، فيكفي أن تقرأوا مقدمة الإمام أبو الحسن الندوي -رحمه الله- في هذا الكتاب.

والنبي -صلى الله عليه وسلم- أشار إلى أن حفظ أول عشر آيات من سورة الكهف تحفظنا من الدجال، أو آخر عشر -عليها خلاف-، وأشهر الروايات أنها الآيات الأُول منها أو حفظ السورة عمومًا.

ما معنى الدجال؟ الدجال في اللغة، وأشار إلى ذلك أبو حسن الندوي وغيره، هو نقل عن كلام أهل اللغة كابن فارس وغيره الذي يبحث عن الجذر اللغوي، قالوا: أن معنى الدجال فيه التغطية والتمويه، فمن أصول معنى الدجل: التغطية والتمويه، أي: شيء مُغطَى بغطاء مموه.

فهو لا يعني شيئًا مغطى وحسب، فقد يكون مغطى بغطاء منفّر، لا، هذا مغطى وبغطاء مُزيَن يجعلنا لا نرى الأشياء على حقيقتها، وهذا من معاني الزينة.

فالدجال يزين الأمور لنراها على غير حقيقتها فيقع الإنسان في الفتنة، أخبرنا النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث البخاري: (حُفت النار بالشهوات)[٣] ، وفي رواية: (حُجبت النار بالشهوات) فالإنسان الذي ينشغل بالشهوة لا يرى النار من وراء هذه الشهوة، الإنسان قصير النظر، لا ينظر إلا إلى العاجلة: {كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ}[القيامة:٢٠]، ينشغل بالشهوات ولا يبصر النار التي من وراء هذه الشهوات -والعياذ بالله-.

فهذا يقوم به الدجال؛ يزين الأمور، وقالوا عن النحاس المطلي بالذهب فيظنه الإنسان ذهباً أن هذا نوع من الدجل.

فالدجل هو كذب، هو تمويه، هو تغطية للأمور، فليس كذبًا فقط، وليس تغطيةً فقط، وليس تمويهًا فقط، هو مجموع هذه الأمور، يعطينا فكرة الدجل.

---

[٣] [عن أنس بن مالك:] حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكارِهِ، وحُفَّتِ النارُ بالشَّهَواتِ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٨٢٢ • [صحيح]

فالدجال يأتي في آخر الزمان –من علامات الساعة الكبرى– يأتي الدجال ومعه نار ومعه جنة –أو معه ماء في رواية– فيقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (فناره ماء عذب بارد)[٤]

لك أن تتخيل أن أحدهم أعطاه الله القدرة –ابتلاءً للناس– أن يُصوّر للناس الماء العذب البارد على أنه نار!

وفي رواية (فناره جنة وجنته نار)، أن أحدهم يصوّر للناس النار، النار المؤلمة المحرقة المشتعلة التي فيها دخان وآلام، يصوّر للناس النار على أنها جنة، على أنها ماء عذب بارد! قمة قلب الحقائق، قمة الفتنة في قلب الحقائق.

دائمًا ما يشغل المؤمن أن يرى الأشياء على حقيقتها وهذا هو قيمة القرآن فتأتي سورة الكهف لتكشف هذا الدجل.

لذلك من المهم جداً أن نقرأ في أحاديث الدجال، ممكن ترجعوا –الذي يريد أن يقرأ في أحاديث الدجال– إلى أية كتب تتحدث على أحاديث تحت عنوان "أحاديث الفتن والملاحم"، أي كتاب تحت عنوان تثق في المؤلف –سواءً من المتقدمين أو المتأخرين جمع ذلك– "أحاديث الفتن والملاحم".

الذي يهتم بتصحيح الأحاديث ويريد شخص ثقة الشيخ مصطفى العدوي –حفظه الله– له كتاب اسمه: "الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم"، ويوجد فصل كامل عن الدجال.

وحقيقةً الأحاديث التي ذكرها الشيخ في الدجال –جزاه الله خيراً– يوجد نوع توسع نوعاً ما، فيوجد استفاضة في الأحاديث الموجودة على الدجال، حتى في التصحيح، فهنا يوجد أحاديث جميلة، وفي أي كتاب، ارجع لأي كتاب عن أحاديث فتن الساعة، آخر الزمان، أحاديث الفتن والملاحم.

---

[٤] [عن حذيفة بن اليمان:] أَلا تُحَدِّثُنا ما سَمِعْتَ مِن رَسولِ اللَّهِ ﷺ؟ قالَ: إنِّي سَمِعْتُهُ يقولُ: إنَّ مع الدَّجّالِ إذا خَرَجَ ماءً ونارًا، **فأمّا الذي يَرى النّاسُ أنَّها النّارُ فَماءٌ بارِدٌ**، وأمّا الذي يَرى النّاسُ أنَّه ماءٌ بارِدٌ فَنارٌ تُحْرِقُ، فَمَن أدْرَكَ مِنكُم فَلْيَقَعْ في الذي يَرى أنَّها نارٌ، فإنَّه عَذْبٌ بارِدٌ. قالَ حُذَيْفَةُ وسَمِعْتُهُ يقولُ: إنَّ رَجُلًا كانَ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ، أتاهُ المَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فقِيلَ له: هلْ عَمِلْتَ مِن خَيْرٍ؟ قالَ: ما أعْلَمُ، قيلَ له: انْظُرْ، قالَ: ما أعْلَمُ شيئًا غيرَ أنِّي كُنْتُ أُبايِعُ النّاسَ في الدُّنْيا وأُجازِيهِمْ، فأُنْظِرُ المُوسِرَ، وأَتَجاوَزُ عَنِ المُعْسِرِ، فأدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ فقالَ: وسَمِعْتُهُ يقولُ: إنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ المَوْتُ، فَلَمّا يَئِسَ مِنَ الحَياةِ أوْصى أهْلَهُ: إذا أنا مُتُّ فاجْمَعُوا لي حَطَبًا كَثِيرًا، وأَوْقِدُوا فيه نارًا، حتّى إذا أكَلَتْ لَحْمِي وخَلَصَتْ إلى عَظْمِي فامْتُحِشَتْ، فَخُذُوها فاطْحَنُوها، ثُمَّ انْظُرُوا يَوْمًا راحًا فاذْرُوهُ في اليَمِّ، فَفَعَلُوا، فَجَمعهُ اللَّهُ فقالَ له: لِمَ فَعَلْتَ ذلكَ؟ قالَ: مِن خَشْيَتِكَ، فَغَفَرَ اللَّهُ له قالَ عُقْبَةُ بنُ عَمْرٍو: وأنا سَمِعْتُهُ يقولُ ذاكَ: وكانَ نَبّاشًا.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٤٥٠ • [صحيح] •

أيضًا من الكتب الجميلة -لكن فيها جانب فكري نوعًا ما- اسمه "ملاحم آخر الزمان عند المسلمين وأهل الكتاب وآثارها الفكرية"، لدكتور ياسر الأحمدي تابع لمجلة البيان، ميزة الكتاب ترتيب الأحداث، وعند الدجال كَتَب فصل بسيط جميل عن كيفية الوقاية من فتن الدجال.

إذًا سورة الكهف تعصمنا من الدجال، إذا أردنا أن نفعل نوع من أنواع الأقيسة، قياس إذا كانت سورة الكهف تعصم من أعظم فتنة في التاريخ؛ النبي -صلى الله عليه سلم- يقول: (ما تركت على أمتي أخوَف من الدجال)[٥] ، (ما خلق الله خلقًا أعظم من الدجال)[٦] ، (كل نبي حذّر أمته الدجال)[٧] ،

---

[٥] [عن أبي ذر الغفاري:] كنتُ مُخاصرَ النبيِّ ﷺ يومًا إلى منزلِه فسمعتُه يقول: غيرُ الدَّجّالِ أخوفُ على أُمَّتي من الدَّجّالِ. فلما خشيتُ أن يدخلَ قلتُ: يا رسولَ اللهِ أيُّ شيءٍ أخوفُ على أُمَّتِك من الدَّجّالِ؟ قال: الأئمةُ المُضِلّينَ
الألباني (ت ١٤٢٠)، السلسلة الصحيحة ١١٠/٤ • رجاله ثقات، إلا أن ابن لهيعة سيء الحفظ • أخرجه أحمد (٢١٢٩٧)

[٦] [عن فاطمة بنت قيس:] أَنَّهُ سَأَلَ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ، أُخْتَ الضَّحَّاكِ بنِ قَيْسٍ، وَكَانَتْ مِنَ المُهَاجِرَاتِ الأُوَلِ، فَقَالَ: حَدِّثِينِي حَدِيثًا سَمِعْتِيهِ مِن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، لا تُسْنِدِيهِ إلى أَحَدٍ غيرِهِ، فَقالَتْ: لَئِنْ شِئْتَ لأَفْعَلَنَّ، فَقالَ لَهَا: أَجَلْ حَدِّثِينِي فَقالَتْ: نَكَحْتُ ابْنَ المُغِيرَةِ، وَهو مِن خِيَارِ شَبَابِ قُرَيْشٍ يَومَئِذٍ، فَأُصِيبَ في أَوَّلِ الجِهَادِ مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَلَمَّا تَأَيَّمْتُ خَطَبَنِي عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ في نَفَرٍ مِن أَصْحَابِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، وَخَطَبَنِي رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ علَى مَوْلَاهُ أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ، وَكُنْتُ قدْ حُدِّثْتُ، أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، قالَ: مَن أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قُلْتُ: أَمْرِي بيَدِكَ، فأنْكِحْنِي مَن شِئْتَ، فَقالَ: انْتَقِلِي إلى أُمِّ شَرِيكٍ وَأُمُّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ غَنِيَّةٌ، مِنَ الأنْصَارِ، عَظِيمَةُ النَّفَقَةِ في سَبِيلِ اللهِ، يَنْزِلُ عَلَيْهَا الضِّيفَانُ، فَقُلْتُ: سَأَفْعَلُ، فَقالَ: لا تَفْعَلِي، إنَّ أُمَّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضِّيفَانِ، فإنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكِ خِمَارُكِ، أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوْبُ عن سَاقَيْكِ، فَيَرَى القَوْمُ مِنْكِ بَعْضَ ما تَكْرَهِينَ وَلَكِنِ انْتَقِلِي إلى ابْنِ عَمِّكِ عبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَهو رَجُلٌ مِن بَنِي فِهْرٍ، فِهْرِ قُرَيْشٍ وَهو مِنَ البَطْنِ الذي هي منه، فَانْتَقَلْتُ إلَيْهِ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ المُنَادِي، مُنَادِي رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إلى المَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَكُنْتُ في صَفِّ النِّسَاءِ الَّتي تَلِي ظُهُورَ القَوْمِ فَلَمَّا قَضَى رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ صَلَاتَهُ جَلَسَ علَى المِنْبَرِ، وَهو يَضْحَكُ، فَقالَ: لِيَلْزَمْ كُلُّ إنْسَانٍ مُصَلَّاهُ، ثُمَّ قالَ: أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟ قالوا: اللَّهُ وَرَسولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: إنِّي وَاللَّهِ ما جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لأنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الذي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عن مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أنَّهُ رَكِبَ في سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مع ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِن لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بهِمِ المَوْجُ شَهْرًا في البَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَؤُوا إلى جَزِيرَةٍ في البَحْرِ حتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا في أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لا يَدْرُونَ ما قُبُلُهُ مِن دُبُرِهِ، مِن كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقالوا: وَيْلَكِ ما أَنْتِ؟ فَقالَتْ: أَنَا الجَسَّاسَةُ، قالوا: وَما الجَسَّاسَةُ؟ قالَتْ: أَيُّها القَوْمُ انْطَلِقُوا إلى هذا الرَّجُلِ في الدَّيْرِ، فإنَّه إلى خَبَرِكُمْ بالأَشْوَاقِ، قالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا منها أَنْ تَكُونَ شيطَانَةً، قالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فيه أَعْظَمُ إنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إلى عُنُقِهِ، ما بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إلى كَعْبَيْهِ بالحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ ما أَنْتَ؟ قالَ: قدْ قَدَرْتُمْ علَى خَبَرِي، فأخْبِرُونِي ما أَنْتُمْ؟ قالوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ العَرَبِ رَكِبْنَا في سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا البَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بنَا المَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إلى جَزِيرَتِكَ هذِه، فَجَلَسْنَا في أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لا يُدْرَى ما قُبُلُهُ مِن دُبُرِهِ مِن كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ ما أَنْتِ؟ فَقالَتْ: أَنَا الجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَما الجَسَّاسَةُ؟ قالَتْ: اعْمِدُوا إلى هذا الرَّجُلِ في الدَّيْرِ، فإنَّه إلى خَبَرِكُمْ بالأَشْوَاقِ، فأَقْبَلْنَا إلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا منها، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شيطَانَةً، فَقالَ: أَخْبِرُونِي عن نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عن أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قالَ: أَسْأَلُكُمْ عن نَخْلِهَا، هلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا له: نَعَمْ، قالَ: أَما إنَّه يُوشِكُ أَنْ لا تُثْمِرَ، قالَ: أَخْبِرُونِي عن بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عن أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قالَ: هلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قالوا: هي كَثِيرَةُ المَاءِ، قالَ: أَما إنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قالَ: أَخْبِرُونِي عن عَيْنِ زُغَرَ، قالوا: عن أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قالَ: هلْ في العَيْنِ مَاءٌ؟ وَهلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بمَاءِ العَيْنِ؟ قُلْنَا له: نَعَمْ، هي كَثِيرَةُ المَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِن مَائِهَا، قالَ: أَخْبِرُونِي عن نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ ما فَعَلَ؟ قالوا: قدْ خَرَجَ مِن مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قالَ: أَقَاتَلَهُ العَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قالَ: كيفَ صَنَعَ بهِمْ؟ فأخْبَرْنَاهُ أنَّهُ قدْ ظَهَرَ علَى مَن يَلِيهِ مِنَ العَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قالَ لهُمْ: قدْ كانَ ذلكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قالَ: أَما إنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لهمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وإنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إنِّي أَنَا المَسِيحُ، وإنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لي في الخُرُوجِ، فأخْرُجَ فأسِيرَ في الأرْضِ فلا أَدَعَ قَرْيَةً إلَّا هَبَطْتُهَا في أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غيرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُما مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُما، كُلَّما أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً، أَوْ وَاحِدًا، منهما اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وإنَّ علَى كُلِّ نَقْبٍ منها مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا، قالَتْ: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، وَطَعَنَ بمِخْصَرَتِهِ في المِنْبَرِ: هذِه طَيْبَةُ، هذِه طَيْبَةُ،

(بعد كل صلاة نستعيذ من الدجال)[٨] ، ... أحاديث كثيرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقط هذا من أجل الوقت، يكفي باب الدجال في صحيح مسلم، فيكفي أن تجمع الأحاديث من أول ذكر

هذِه طَيْبَةُ، يَعْنِي المَدِينَةَ، أَلَا هلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذلكَ؟ فَقالَ النَّاسُ: نَعَمْ، فإنَّه أَعْجَبَنِي حَديثُ تَمِيمٍ، أنَّهُ وَافَقَ الذي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عنْه، وَعَنِ المَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إنَّه في بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ اليَمَنِ، لا بَلْ مِن قِبَلِ المَشْرِقِ ما هُوَ، مِن قِبَلِ المَشْرِقِ ما هو مِن قِبَلِ المَشْرِقِ، ما هو وَأَوْمَأَ بيَدِهِ إلى المَشْرِقِ، قالَتْ: فَحَفِظْتُ هذا مِن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٩٤٢ • [صحيح]

[٧] [عن أبي أمامة الباهلي:] يا أَيُّها الناسُ ! إنها لم تكن فتنةٌ على وجهِ الأرضِ ، منذُ ذَرَأَ اللهُ ذُرِّيَّةَ آدمَ أَعْظَمَ من فتنةِ الدَّجَّالِ ، وإنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لم يَبْعَثْ نبيًّا إلا حَذَّرَ أُمَّتَه الدَّجَّالَ ، وأنا آخِرُ الأنبياءِ ، وأنتم آخِرُ الأُمَمِ ، وهو خارجٌ فيكم لا مَحالةَ ، فإن يخرجْ وأنا بين أَظْهُرِكم ، فأنا حَجِيجٌ لكلِّ مسلمٍ ، وإن يخرجْ من بَعْدِي ، فكلُّ حَجِيجُ نفسِه ، واللهُ خَلِيفَتِي على كلِّ مسلمٍ ، وإنه يخرجُ من خُلَّةٍ بين الشامِ والعراقِ . فيَعِيثُ يمينًا وشمالًا ، يا عبادَ اللهِ ! أيُّها الناسُ ! فاثبُتوا فإني سأَصِفُه لكم صفةً لم يَصِفْها إياه قبلي نبيٌّ ، ... يقولُ : أنا ربُّكم ، ولا تَرَوْنَ ربَّكم حتى تَمُوتُوا ، وإنه أَعْوَرُ ، وإنَّ ربَّكم ليس بأَعْوَرَ ، وإنه مكتوبٌ بين عَيْنَيْهِ : كافرٌ ، يقرؤُه كلُّ مؤمنٍ ، كاتِبٌ أو غيرُ كاتِبٍ . وإنَّ من فتنتِه أنَّ معه جَنَّةً ونارًا ، فنارُه جنةٌ ، وجنتُه نارٌ ، فمَن ابتُلِيَ بنارِه فلْيَسْتغِثْ باللهِ ، ولْيَقْرَأْ فواتِحَ الكهفِ... وإنَّ من فتنتِه أن يقولَ للأعرابيِّ : أرأيتَ إن بَعَثْتُ لك أباك وأُمَّك أَتَشْهَدُ أني ربُّك ؟ فيقولُ : نعم ، فيتمثلُ له شيطانانِ في صورةِ أبيه وأُمِّه ، فيقولانِ : يا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ ، فإنه ربُّك ، وإنَّ من فتنتِه أن يُسَلَّطَ على نفسٍ واحدةٍ فيَقْتُلُها ، يَنْشُرُها بالمِنْشارِ حتى تُلْقَى شِقَّيْنِ ، ثم يقولُ : انظُرُوا إلى عَبْدِي هذا ، فإني أَبْعَثُه ثم يَزْعُمُ أنَّ له ربًّا غيري ، فيبعثُه اللهُ ، ويقولُ له الخبيثُ : مَن ربُّك ؟ فيقولُ : رَبِّيَ اللهُ ، وأنت عَدُوُّ اللهِ ، أنت الدَّجَّالُ ، واللهِ ما كنتُ قَطُّ أَشَدَّ بصيرةً بك مِنِّي اليومَ . وإنَّ من فتنتِه أن يأمرَ السماءَ أن تُمْطِرَ ، فتُمْطِرُ ، ويأمرَ الأرضَ أن تُنْبِتَ ، فتُنْبِتُ . وإنَّ من فتنتِه أن يَمُرَّ بالحيِّ فيُكَذِّبونه ، فلا يَتْقَى لهم سائمةٌ إلا هَلَكَت . وإنَّ من فتنتِه أن يَمُرَّ بالحيِّ ، فيُصَدِّقونه ، فيأمرُ السماءَ أن تُمْطِرَ فتُمْطِرُ ، ويأمرُ الأرضَ أن تُنْبِتَ فتُنْبِتُ ، حتى تَرُوحَ مَواشِيهم من يومِهم ذلك أَسْمَنَ ما كانت ، وأَعْظَمَه ، وأَمَدَّه خَواصِرَ وأَدَرَّهُ ضُروعًا . وإنه لا يَبْقَى شيءٌ من الأرضِ إلا وَطِئَه وظَهَرَ عليه ، إلا مكةَ والمدينةَ ، لا يأتيهما من نَقْبٍ من أنقابِها إلا لَقِيَتْهُ الملائكةُ بالسيوفِ صَلْتَةً ، حتى يَنْزِلَ عند الضَّرِيبِ الأحمرِ ، عند مُنْقَطَعِ السَّبَخةِ ، فتَرْجُفُ المدينةُ بأهلِها ثلاثَ رَجَفاتٍ ، فلا يَبْقَى فيها منافقٌ ولا منافقةٌ إلا خرج إليه ، فتَنْفِي الخبيثَ منها ، كما يَنْفِي الكيرُ خَبَثَ الحديدِ ، ويُدْعَى ذلك اليومُ يومَ الخَلَاصِ ، قيل : فأين العربُ يَوْمَئِذٍ ؟ قال : هم يَوْمَئِذٍ قليلٌ ، . . . وإمامُهم رجلٌ صالحٌ ، فبَيْنَا إمامُهم قد تَقَدَّم يُصَلِّي بهمُ الصُّبْحَ ، إذ نزل عليهم عيسى ابنُ مريمَ الصُّبْحَ ، فرجع ذلك الإمامُ يَنْكُصُ يَمْشِي القَهْقَرَى ليتقدمَ عيسى ، فيضعُ عيسى يدَه بين كَتِفَيْهِ ، ثم يقولُ له : تَقَدَّمْ فَصَلِّ ؛ فإنها لك أُقِيمَتْ ، فيُصَلِّي بهم إمامُهم ، فإذا انصرف قال عيسى : افتَحوا البابَ ، فيُفْتَحُون ووراءَه الدَّجَّالُ ، معه سبعونَ ألفَ يهوديٍّ ، كلُّهم ذو سيفٍ مُحَلًّى وسَاجٍ ، فإذا نظر إليه الدَّجَّالُ ذاب كما يذوبُ المِلْحُ في الماءِ . وينطلقُ هاربًا ، ... فيُدْرِكُه عند بابِ لُدٍّ الشرقيِّ ، فيقتلُه ، فيَهْزِمُ اللهُ اليهودَ ، فلا يَبْقَى شيءٌ مِمَّا خلق اللهُ عَزَّ وجَلَّ يَتَوارَى به يهوديٌّ ، إلا أَنْطَقَ اللهُ ذلك الشيءَ ، لا حَجَرٌ ولا شجرٌ ولا حائطٌ ولا دابةٌ ، إلا الغَرْقَدَةَ ، فإنها من شَجَرِهِم لا تَنْطِقُ ، إلا قال : يا عبدَ اللهِ المسلمَ هذا يهوديٌّ فتَعَالَ اقتُلْه . فيكونُ عيسى ابنُ مريمَ في أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلًا ، وإمامًا مُقْسِطًا يَدُقُّ الصليبَ ، ويَذْبَحُ الخِنْزِيرَ ، ويضعُ الجِزْيَةَ ، ويتركُ الصدقةَ ، فلا يَسْعَى على شاةٍ ولا بعيرٍ ، وتُرْفَعُ الشحناءُ والتباغُضُ ، وتُنْزَعُ حُمَةُ كلِّ ذاتِ حُمَةٍ ، حتى يُدْخِلَ الوليدُ يدَه في فِيِّ الحَيَّةِ ، فلا تَضُرُّه ، وتَضُرُّ الوليدةُ الأسدَ فلا يَضُرُّها ، ويكونُ الذئبُ في الغنمِ كأنه كلبُها ، وتُمْلَأُ الأرضُ من السِّلْمِ كما يُمْلَأُ الإناءُ من الماءِ ، وتكونُ الكلمةُ واحدةً ، فلا يُعْبَدُ إلا اللهُ ، وتضعُ الحربُ أوزارَها ، وتُسْلَبُ قريشٌ مُلْكَها ، وتكونُ الأرضُ كفاثورِ الفِضَّةِ ، تُنْبِتُ نباتَها بعَهْدِ آدمَ حتى يجتمعَ النَّفَرُ على القِطْفِ من العنبِ فيُشْبِعُهم ، ويجتمعُ النَّفَرُ على الرُّمَّانةِ فتُشْبِعُهم ، ويكونُ الثَّوْرُ بكذا وكذا من المالِ ، ويكونُ الفَرَسُ بالدُّرَيْهِماتِ ، ... وإنَّ قبلَ خروجِ الدَّجَّالِ ثلاثَ سنواتٍ شِدادٍ ، يُصِيبُ الناسَ فيها جُوعٌ شديدٌ ، يأمرُ اللهُ السماءَ السنةَ الأولى أن تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِها ، ويأمرُ الأرضَ أن تَحْبِسَ ثُلُثَ نباتِها ، ثم يأمرُ السماءَ في السنةِ الثانيةِ فتَحْبِسُ ثُلُثَيْ مَطَرِها ، ويأمرُ الأرضَ فتَحْبِسُ ثُلُثَيْ نباتِها ، ثم يأمرُ السماءَ في السنةِ الثالثةِ فتَحْبِسُ مطرَها كلَّه ، فلا تَقْطُرُ قَطْرةً ، ويأمرُ الأرضَ فتَحْبِسُ نباتَها كلَّه فلا تُنْبِتُ خضراءَ ، فلا يَبْقَى ذاتُ ظِلْفٍ إلا هَلَكَت إلا ما شاء اللهُ ، قيل : فما يُعِيشُ الناسَ في ذلك الزمانِ ؟ قال : التهليلُ ، والتكبيرُ ، والتحميدُ ، ويُجْزِئُ ذلك عليهم مَجْزَأَةَ الطعامِ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ٧٨٧٥ • صحيح • أخرجه أبو داود (٤٣٢٢) بنحوه مختصراً، وابن ماجه (٤٠٧٧) باختلاف يسير.

[٨] [عن عائشة أم المؤمنين:] أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ يَتَعَوَّذُ: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِن فِتْنَةِ النارِ ومِنْ عَذابِ النارِ، وأَعُوذُ بكَ مِن فِتْنَةِ القَبْرِ، وأَعُوذُ بكَ مِن عَذابِ القَبْرِ، وأَعُوذُ بكَ مِن فِتْنَةِ الغِنى، وأَعُوذُ بكَ مِن فِتْنَةِ الفَقْرِ، وأَعُوذُ بكَ مِن فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجّالِ.

ابن صياد واشتباه الصحابة فيه، مجرد أن تجمع فقط أحاديث الدجال في مسلم فقط يكفي، فما تَخيّلك للموجودة في غيره، كان يوجد موسوعات؛ موسوعة في حديث البيوع، موسوعة في أحاديث الفتن والملاحم أيضًا فيها فصل طويل عن الدجال.

الخلاصة إذا أردت أن تجمع أحاديث الدجال، وتريد أن تعرف كيف أشار النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى أن سورة الكهف وأشياء أخرى تساعدنا أن ربنا -سبحانه وتعالى- يحفظنا من هذه الفتنة.

كنت أقول إذا عملنا نوع من الأقيسة: إذا كانت سورة الكهف تحفظ المؤمن من أعظم فتنة في التاريخ فقد تساعدنا على ما دون هذه الفتنة، أليس كذلك؟!

فالشيء الذي يعطيك إيمانًا ونورًا وبصيرة وسكينة وعصمة يحفظك من فتنة عليا، فبالتأكيد يحفظك من الفتنة الأقل.

أنا أيضًا قرأتُ أثرًا والحمد لله، كنت قرأتُه قديمًا وظللت أبحث عنه، وبقَدَر الله أرسله إليَّ الشيخ عمرو الشرقاوي، سبحان الله أرسله رسالة عابرة، وقبل تحضير سورة الكهف كنت أبحث عن الأثر الموجود في فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم ابن سلّام أن "الحسن بن علي"، وفي رواية أيضًا في فضائل القرآن أو "الحسين" -وكلاهما كان في زمن الفتنة- "كان يقرأ في كل ليلة" كان في الأثر مكتوب "كان معه لوح مكتوب فيه سورة الكهف يقرؤه كل ليلة يدور معه حيث دار في بيوته" -كان متزوج أكثر من زوجة-، فكان الحسن بن علي يتنقل مع كل بيت كان يطلب أن يأخذ معه هذا اللوح المكتوب عليه سورة الكهف ليقرأه كل ليلة، كان زمن فتنة.

كما قلت قرأت عن الإمام أحمد لكن لم أصل إليه لا أذكر قرأتُه في أي كتاب من كتب السيرة.

فالخلاصة أن سورة الكهف فعلًا تنجي؛ أنا لا أقول أن نقرأها كل يوم، لا أقصد الإشارة إلى فضل معين أو أثر معين، أنا أقول انظروا كيف تعامل هؤلاء، أنه كما أن هذه السورة تنجّي من الفتنة العظيمة قد تنجّي من الفتنة الأقل، فكذلك السورة نحن نقرأها أسبوعيًا لنحصل على السكينة، لنحصل على النور، لنحصل على الحفظ من الفتنة، فهذه مجموعة الآثار الواردة.

عندما ننظر في مسألة الدجال -مثلما قلت ارجعوا للقراءة- الحل الأساسي لمواجهة الدجال:

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٣٧٦ • [صحيح]

أن تراه على حقيقته، أنت حتى تَثبُت أمام الدجال تحتاج لشيئين:

-تحتاج ألا تُفتَن بما يفعل.

-وإيمان يُثبّتك لأخذ هذا القرار.

فهي فتنة عظيمة -نسأل الله الثبات والإيمان والعافية، ونسأل الله ألا نُبتلَى- لكن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (فإذا وجدتموه يا عباد الله فاثبتوا)[٩] وهذه من الوسائل أن تتثبت: {اصْبِرُوا وَصَابِرُوا}[آل عمران: ٢٠٠]..

[٩] [عن النواس بن سمعان الأنصاري:] ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فيه وَرَفَّعَ، حتَّى ظَنَنَّاهُ في طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذلكَ فِينَا، فَقالَ: ما شَأْنُكُمْ؟ قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فيه وَرَفَّعْتَ، حتَّى ظَنَنَّاهُ في طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقالَ: غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فأنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وإنْ يَخْرُجْ ولَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، واللَّهُ خَلِيفَتِي علَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إنَّه شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بعَبْدِ العُزَّى بنِ قَطَنٍ، فَمَن أَدْرَكَهُ مِنكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عليه فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ، إنَّه خَارِجٌ خَلَّةً بيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، وما لَبْثُهُ في الأرْضِ؟ قالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، فَذلكَ اليَوْمُ الذي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فيه صَلَاةُ يَومٍ؟ قالَ: لَا، اقْدُرُوا له قَدْرَهُ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، وما إسْرَاعُهُ في الأرْضِ؟ قالَ: كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي علَى القَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فيُؤْمِنُونَ به وَيَسْتَجِيبُونَ له، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عليهم سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ ما كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي القَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عليه قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ ليسَ بأَيْدِيهِمْ شيءٌ مِن أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بالخَرِبَةِ، فيَقولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ، فَبيْنَا هو كَذلكَ إذْ بَعَثَ اللَّهُ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ علَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وإذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ منه جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حتَّى يُدْرِكَهُ ببَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ منه، فَيَمْسَحُ عن وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بدَرَجَاتِهِمْ في الجَنَّةِ، فَبيْنَا هو كَذلكَ إذْ أَوْحَى اللَّهُ إلى عِيسَى: إنِّي قدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لا يَدَانِ لأَحَدٍ بقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إلى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ علَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ ما فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فيَقولونَ: لقَدْ كانَ بهذِه مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حتَّى يَكونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِن مِئَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ اليَومَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فيُرْسِلُ اللَّهُ عليهمُ النَّغَفَ في رِقَابِهِمْ، فيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إلى الأرْضِ، فلا يَجِدُونَ في الأرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إلى اللَّهِ، فيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ البُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لا يَكُنُّ منه بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الأرْضَ حتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَومَئِذٍ تَأْكُلُ العِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ في الرِّسْلِ، حتَّى أنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإبِلِ لَتَكْفِي الفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفِي القَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكْفِي الفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبيْنَا هُمْ كَذلكَ إذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الحُمُرِ، فَعليهم تَقُومُ السَّاعَةُ. ٧٤٨٤- [١١١-...] حَدَّثَنَا عَلِيُّ بنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ، حَدَّثَنَا عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ يَزِيدَ بنِ جَابِرٍ، وَالْوَلِيدُ بنُ مُسْلِمٍ، قالَ ابنُ حُجْرٍ: دَخَلَ حَدِيثُ أَحَدِهِما في حَدِيثِ الآخَرِ، عن عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ يَزِيدَ بنِ جَابِرٍ، بهذا الإسْنَادِ، نَحْوَ ما ذَكَرْنَا. وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ: لقَدْ كانَ بهذِه مَرَّةً مَاءٌ، ثُمَّ يَسِيرُونَ حتَّى يَنْتَهُوا إلى جَبَلِ الخَمَرِ، وَهو جَبَلُ بَيْتِ المَقْدِسِ، فيَقولونَ: لقَدْ قَتَلْنَا مَن في الأرْضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَن في السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بنُشَّابِهِمْ إلى السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللَّهُ عليهم نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا وفي رِوَايَةِ ابْنِ حُجْرٍ: فإنِّي قدْ أَنْزَلْتُ عِبَادًا لِي، لا يَدَيْ لأَحَدٍ بقِتَالِهِمْ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٩٣٧ • [صحيح]

فتنة عظيمة وقع فيها المسلمون في أي مكان وحُوربوا وعُذّبوا واضطهدوا وفتنوا سواء بالاستضعاف، أو بالدنيا وزينة الدنيا، أول شيء أن يرى هذه الزينة على حقيقتها، ويرى هذه الفتنة على حقيقتها؛ لا ينبهر، لا يسير مع الناس.

فالدجال أن تقرأ بين عينيه كافر، أن تبصر، إذا كنا الآن -نسأل الله السلامة- في زمن الدجال وجاء الناس اقتحموا جنة الدجال -وهي أصلًا النار- وألوف مؤلفة يقتحمون ويرمون بأنفسهم في جنته -وهي نار-، لو أنك موقن أنها نار لن تستطيع أن تقذف بنفسك فيها، من الممكن أن تتهيب أن ترمي نفسك في ناره -وهي أصلاً جنة- لكن أن توقن أن جنته نار ثم تلقي بنفسك فهذا من السفه، لكن من الذي يرمي نفسه في جنة الدجال التي هي في أصلها نار؟ الذي يراها جنة فيلقي بنفسه فيها.

أنت من الممكن أن تتهيب أن تُلقي بنفسك في ناره -التي هي جنة- لذلك في رواية قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (فليغمض عينيه وليطأطئ رأسه ثم يقتحم)[١٠] لأجل المهابة من شكل النار لكن في داخلها الجنة، أو -في رواية- الماء العذب البارد.

قلنا الدجال مُموِه كذاب يغطي، فيكون دورنا مع الدجال أن نقرأ الفتنة؛ فكيف نقرأ الفتنة؟ ما هي الوسائل؟

وهذا موجود مثلما ذكرت في كتاب "ملاحم آخر الزمان"، فصل بسيط جدًا اسمه ((وسائل الوقاية من المسيح الدجال)) صفحة ١٤٩ ذكر منها:

- الاستعاذة؛ الاستعاذة في آخر كل صلاة.

[١٠] [عن حذيفة بن اليمان:] أنا أعْلَمُ بما معَ الدجالِ منه، معه نهرانِ أحدهما نارٌ تأَجّجُ في عينٍ من يراهُ، والآخرُ ماءٌ أبيضُ، فمن أدركهُ منكم فليُغمِضْ عينيهِ وليشربْ من نهرِ النارِ الذي معه فإنه باردٌ، وإياكم والآخرَ فإنه فتنةٌ، واعلموا أنه مكتوبٌ بين عينيهِ كافرٌ يقرؤه من كتبَ ومن لم يكتبْ، وأن إحدى عينيهِ ممسوحةٌ عليها ظفرةٌ، وأنه مُطّلِعٌ من آخرِ عمرهِ على بطنِ الأردن على ثنيّةِ فيقٍ وكل أحدٍ يؤمن باللهِ واليومِ الآخرِ ببطنِ الأُرْدُن وأنه يقتلُ من المسلمينَ ثلثا ويهزمُ ثلثا ويبقى ثلثٌ فيحجزُ بينهم الليلُ، فيقول بعضُ المؤمنينَ لبعضٍ ما تنتظرونَ؟ ألا تريدونَ أن تلحقُوا بإخوانكُم في مرضاةِ ربكُم؟ من كان عندهُ فضلُ طعامٍ فليعدْ بهِ على أخيهِ، وصلوا حين ينفجرُ الفجرُ وعجِلُوا الصلاةَ، ثم أقْبِلُوا على عدوكُم، قال: فلما قاموا يصلّونَ نزلَ عيسى وإمامهُم يصلّي بهم، فلما انصرفَ قال هكذا: فرّجُوا بيني وبينَ عدو اللهِ قال: فيذوبُ كما يذوبُ الملحُ في الماءَ فيسلّطُ عليهم المسلمينَ فيقتلونهُم حتى إن الحجرَ والشجرَ ينادي يا عبد الله يا مسلمُ، هذا يهوديّ فاقتلهُ، ويظهرُ المسلمونَ فيكسرُ الصليبُ، ويقتلُ الخنزيرُ وتوضعُ الجزيةُ فبينما هم كذلكَ إذ أَخرجَ اللهَ يأجوجَ ومأجوجَ، فيشربُ أولهم، ويجيءُ آخرهُم وقد انتشفوا فما يدعونَ منه قطرةً، فيقولون: هاهنا أثرُ ماءٍ: ونبيّ اللهِ وأصحابهِ وراءهُم حتى يدخلوا مدينةً من مدائنِ فلسطينَ يقال لها باب لُدّ فيقولونَ ظهرنا على من في الأرضِ، فتعالوا نقتلْ من في السماءِ، فيدعو الله بعدَ ذلكَ فيبعث الله عليهم قرحةً في حلوقهِم فلا يبقى منهم بشرٌ، ويؤذي ريحهُم المسلمينَ، فيدعو عيسى عليهِم، فيرسلُ اللهُ عليهم رِيحا تقذفهُم في البحرِ أجمعينَ

• ابن كثير (ت ٧٧٤)، نهاية البداية والنهاية ١٦٤/١

- الثبات (يا عباد الله فاثبتوا).
- قراءة سورة الكهف.

فذكر ما يقرب من ست وسائل كلها جيدة، ذكر:

أن تفر إلى الأماكن التي لا يذهب إليها الدجال –وهي مكة والمدينة–.

فعندما تكون هناك فتنة فِر بدينك من الفتنة، اذهب إلى بيئة الإيمان، اترك المكان الذي تُفتَن فيه.

أيضًا النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن) –وفي رواية– كل مسلم، فيكون هنا قراءة الفتنة تحتاج إلى إيمان، قراءة كلمة الكفر بين عيني الدجال تحتاج إلى إسلام، تحتاج إلى إيمان.

فالنبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (يقرؤه كل مسلم –أو كل مؤمنٍ– كاتب وغير كاتب) فتجد أستاذًا ومثقفًا ومفكرًا من أتباع الدجال، وهذه رأيناها مع توفيق عكاشة وغيره، فقد تجد شخصًا يصدق أشياء في قمة التفاهة، ويقول لك نظرية المؤامرة، ويعيش في قضايا وتصورات معينة في قمة السذاجة فأنت تتعجب.

فالقضية أن قراءة الفتنة تحتاج إلى إيمان، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب).

وفي رواية (يقرؤه كل من كرِه عمله) من يكره أعمال الدجال، لأن الحب يُعمي ويصم، فإذا كنت تحب الذي يقدمه الدجال ستبرر لنفسك ما يفعل، فهنا أن تكره الفتنة، ولذلك أنت تدعو: (اللهم حببّ إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا –انتبه من لفظ الزينة– وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان).

ولذلك ربنا قال عن هذه الآية في ختامها في سورة الحجرات {أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ}[الحجرات:٧] هذا هو الرشد، **قمة الرشد أن يُزيَن لك الإيمان وأن يُبغّض إليك المعصية** –واحفظ هذه الجملة سنحتاجها الآن– قمة الرشد أن يزين إليك الإيمان وأن يحبب لك، وأن يبغّض إليك المعصية، والعكس هو قمة السفه؛ أن يزين إليك المعصية ويبغض إليك الإيمان.

فيكون الذي يقرأ الفتنة، الذي يكره المعصية، فأنا إذا لم أكن أعرف ما الفتن المحيطة بي، ونهلت من الإيمان ومن معاني القرآن ومن معاني سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- وجالس في بيئة الإيمان، حينما تُعرَض الفتنة لأول وهلة أبغضها، مع تكرار التعرض وقلة الإيمان أستسيغ الفتنة؛ وهذه إحدى معاني التسويل ثم التزيين، وهذا في درس عن مداخل الشيطان يُسول ويزين؛ حتى يستسيغ الإنسان الفتنة.

ننتقل إلى فكرة خواص السورة اجتهاديًا -لضيق الوقت- سنجد أن من خواص سورة الكهف:

- ذُكرَت فيها الفردوس -مثلما ذكرت-.
- بدأت بالحمد.
- القصص

قد يقول أحدهم: ما الجديد؟

الحمد موجود في خمس سور؛ موجود في الفاتحة، وموجود في الأنعام، وموجود في الكهف، وموجود في سبأ، وموجود في فاطر، ما الذي يميز سورة الكهف؟

أقول لك: الحمد على ماذا؟

فكل سورة لها خاصية، الفاتحة {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ...} الأنعام

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ} الكهف

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} سبأ

{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ} فاطر

في كل سورة أنت تحمد الله -سبحانه وتعالى- على صفة، فخصائص سورة الكهف، ما تميزت به سورة الكهف: الحمد لله على نعمة الكتاب.

إذًا، تخبرنا سورة الكهف أن هناك من الفتن لن تستطيع أن تبصرها على حقيقتها بغير الكتاب، مستحيل، مستحيل..

لذلك والله أعلى وأعلم، والله أعلى وأعلم، أكرر والله أعلى وأعلم هذا له دلالة بكلمة الرقيم، ويوجد خلاف طويل بين المفسرين في الرقيم، بل ابن عباس قال: (لا أعلم ثلاثة ألفاظ –أو غيرها– من القرآن لا أعلمها منها الرقيم) فيوجد خلاف طويل، ما هو الرقيم؟

قد يكون الكتاب؛ من الرقم، هل فيه الأسماء؟ هل فيه القصة؟ هل فيه الدين والتعاليم؟

فإن قلنا أنه الرقم من الكتاب، وفيه التعاليم وكتاب الدين، فالأصحاب اجتمعوا مع الكتاب، اجتمع الأصحاب مع الكتاب فحصلت النجاة {أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا}[الكهف:٩] والله أعلى وأعلم.

كنا نقول أن خواص سورة الكهف البداية بالحمد على إنزال الكتاب، الفردوس، فيها قَصص.

فإذا قلت: القرآن مليء بالقصص، أقول لك: لا، القصص الموجودة في سورة الكهف أربعة أنواع من القصص لا توجد إلا في سورة الكهف، هناك **أربعة من القصص القرآني لم تُذكَر إلا في سورة الكهف:**

- قصة أصحاب الكهف.
- صاحب الجنتين.
- حتى موسى –عليه السلام–؛ القرآن مليء بذكره، لكن قصته مع الخضر لم تذكر إلا في سورة الكهف.
- قصة ذو القرنين.

وكما ذكرت فكرة تكرار النماذج القرآنية وتنوعها يعطينا سعة أن نختار النموذج الذي نقتدي به.

أيضًا من الخصائص التي تفيدنا في السورة ولها علاقة بقضية الدجال:

نجد أن كلمة **الزينة** ذُكِرَت في هذه السورة ثلاث مرات.

وكلمة **الرشد** ذُكِرَت في هذه السورة أربع مرات.

كلمة الزينة ذُكِرَت في هذه السورة ثلاث مرات:

{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً}[الكهف:٧]،

{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ}[الكهف:٤٦]،

{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}[الكهف:٢٨].

فالزينة ذُكِرَت ثلاث مرات.

وأيضًا الرشد بتصاريف الكلمة ذُكِرَ أربع مرات في السورة:

{فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}[الكهف:١٠]،

{فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا}[الكهف:١٧]،

{عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا}[الكهف:٢٤]،

{هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا}[الكهف:٦٦].

العجيب أن الرشد ذُكِرَ أربع مرات، ثلاث مرات منها مع أصحاب الكهف، **كلما زاد الاستضعاف، وقلت الأسباب، وازدادت الفتنة = تحتاج إلى رشد أعظم، وكذلك مع ازدياد الأسباب وطغيان الحياة الدنيا تحتاج أيضًا إلى الرشاد.**

فيكون أكثر إنسان يحتاج إلى الرشد الذي في قمة الاستضعاف والعدو يكون في قمة التمكين؛ لأن الزينة تكون في قمة تمكينها -وهذا ما يحدث مع الدجال-، تحتاج أن ترى الزينة على حقيقتها.

إذًا من مقاصد سورة الكهف أن تعطيك الرشد الذي تبصر به الزينة على حقيقتها، من مقاصد سورة الكهف أن تَمُدُك بالرشاد وبالرشد الذي يجعلك تبصر الزينة على حقيقتها.

من العجيب أيضًا في السورة أن من قرأ أول عشر آيات يحفظ من الدجال، بل يوجد رواية -وإن كان الرواية فيها ضعف- ذكرها الإمام ابن حجر وغيره (أن من يرى الدجال فليتفل في وجهه ويقرأ العشر آيات من سورة الكهف)، كأنه يتفل في وجهه -إن صحت هذه الرواية- والشيخ الألباني ضعّفها، أن

من يتفل في وجه الدجال كأنه احتقار وكره لعمله، ثم يقرأ الكهف ليرى البصيرة لتعطيه الإيمان ليرى بها كلمة كافر، فالتفل في الوجه مع قراءة سورة الكهف تعطيك كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (يقرأه كل من كره عمله ويقرأه كل مؤمن).

الآية رقم عشرة تنتهي بكلمة رشداً، وكأن ملخص المعاني العظيمة في سورة الكهف في الآية ٧ والآية ٨ {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}[الكهف:٧] كيف سيتعاملون مع الزينة، {وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا}[الكهف:٨]، **رؤية مآل الزينة أنها صعيد جرز هذا هو الرشد**، فلذلك ربنا يقول: {فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ}[النساء:٦] الرشد يجعلك تتعامل مع الزينة.

أنا الآن أجمع بين كلمتي الزينة والرشد في القرآن الموجودين في سورة الكهف، والعجيب أن الرشد أعلى من الزينة، فأنت تحتاج لرؤية الزينة لرشد أعلى، وموجودة في آية النساء، وموجودة في آية الحجرات {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ}[الحجرات:٧] انتبه إلى {وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ} مع الرشد الموجود.

فيكون تزيين الإيمان في القلب هذا هو الرشد، لكن تزيين المعصية هذا هو الفساد والسفه {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ}[البقرة:١٣٠].

إذًا ملخص ما تقدمه سورة الكهف حتى نبدأ الحديث عن المقدمة ونختم، طبعًا لأننا لن نستطيع أن نحكي قصة أصحاب الكهف، في المرة القادمة إن شاء الله نأخذ قصة أصحاب الكهف بإذن الله -سبحانه وتعالى-.

ملخص ما تقدمه سورة الكهف أن تعطيك -وذكرتُ هذا المعنى سابقًا وعن القرآن عمومًا- "النظارة القرآنية"، سورة الكهف خصوصًا وفي القرآن عمومًا، وهذا معنى أسأل الله -تعالى- أن ييسر درسًا كاملًا عن فكرة "النظارة القرآنية"، كيف تنظر للحياة من خلال القرآن، إعادة تعريف الحياة من خلال القرآن.

سورة الكهف خصوصًا تعطيك نظارة لرؤية الزينة والفتنة على حقيقتها، فأنت من المفترض قبل أن ترتدي نظارة سورة الكهف قد تُفتَن بالدجال، بعد ارتداء نظارة سورة الكهف تبصر الدجال على حقيقته، تبصر كلمة الكفر بين عينيه، تبصر مآلات الزينة، هذا الذي كان يتكبر ويقول: {مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا}[الكهف:٣٥] أنت تسمعه وتضحك، في قمة طغيانه وأنت تضحك منه، في قمة طغيانه وأنت قد تتفل في وجهه وتقرأ عليه آيات الكهف كما تفعل مع الدجال.

المؤمنون في آخر القصص عندما رأوا قارون قبل أن تُخسف به الأرض رأوه على حقيقته، لكن حينما خُسف به الأرض {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ}[القصص:٨١] كل الناس قالت: نعم فعلًا، قارون هذا كان مخطئًا، لكن من الذي أبصر قارون على حقيقته قبل أن تُخسف به الأرض؟

فحينما يُهلَك الدجال الكل سيكتشف أنه كان كذّابًا، وأنه ليس هو الإله، حينما تسقط الحضارات المادية الفاسدة، الكل يقول: نعم، فعلًا كانت حضارات فاسدة، فعلًا على غير نصٍ من الله فعلًا، ومآلها الفساد والضياع، لكن من الذي يبصر الفتنة في قمتها والمادية في طغيانها؟ من الذي يراها على حقيقتها؟ وهذا المعنى الذي أبدع فيه حقيقةً الشيخ الندوي.

هنا في كتاب دراسات قرآنية [صفحة: ١٥١] عندما تكلّم عن مفتاح شخصية الدجال وقال مفتاح شخصية الدجال الذي تفتح به الأغلاق وتُعرف به الأعماق و...إلخ: هو اللَّقب وهو شعاره الذي هو الدَجل والتَدجيل، تكلم عن أن هذه التغطية الَّتي أشرنا إليها فقال: "لقد اتسمت الحضارة المادية في العهد الأخير بالتدجيل في كل شيءٍ، والتَلبيس على الناس، وتسمية الأشياء بغير أسمائها، وتمويه الحقائق، وإطلاق الأسماء البرَّاقة الخلَّابة للعقول على غير مسمياتها، وبكثرة الاختلاف بين الظاهر والباطن، والنظريات العلمية، والتجارب العملية، وهذا شأن الشعارات والفلسفات الَّتي حلت محل الأديان وسَحَرت النفوس والعقول".

ثم ذكر كلامًا رائعًا فقال: "وقد سرت هذه الروح الدَجلية المدلِسة في هذه الحضارة المادية"، وتكلم أنه لماذا اليهود هم أكثر أتباع الدجال؟

وتعجب بالرغم من سعة اطلاعه على الكتب السابقة الّتي فيها تَحريف كُتب اليهود والنصارى، تعجب من خلوها من كثرة ذكر الدار الأخرة على عكس ما لدينا في كتاب الله –سبحانه وتعالى–.

فإذًا سورة الكهف تعطيك نظارة، المعاني الَّتي في سورة الكهف حينما يتشبع بها الإنسان إن شاء الله لا يُفتن، ويرى الأشياء على حقيقتها، ويكون لديه نور، تعطيك إشارات وتعطيك أعمالًا، إذا التزمت بها تُبصِر الأشياء على حقيقتها.

الرسول –صلى الله عليه وسلم– قال عن سورة الكهف في رواية –أظن– في أبي داوود بسندٍ حسنٍ قال: (فإنها جواركم من فتنته)[١١] ، –تخيل– (فإنها جواركم من الفتنة) وقال: (من حفظها لم يُسلّط عليه)[١٢] !

أُنظر النصوص الّتي فيها حفظ من أعظم فِتنة.

هناك كُتب كثيرة، عودوا إذًا لقناة "رياض القرآن"، هناك كتب كثيرة عن سورة الكهف أهمها بالنسبة إليّ كتاب النَدوي، هناك كتاب لكن تناول ليست من مسألة الحفظ من تصوري، أي قد أختلفُ معه قليلًا لكن في المجمل جيد اسمه "النهضة في القران الكريم البناء والمقومات من خلال سورة الكهف" جمعية المحافظة على القرآن الكريم [إعداد: علي محمد أسمر]، هناك كتب كثيرة حقيقةً كتاب "أنوار النجاة في سورة الكهف" كتب كثيرة في سورة الكهف قد ترجعون إليها بإذن الله –سبحانه وتعالى–.

عندما نبدأ وننظر لبداية سورة الكهف نأخذ نظرة سريعة على المقدمة، يقول الله –سبحانه وتعالى–: {الْحَمْدُ لِلَّهِ}، إنك أنت بعد أن تُعايش الفِتن الَّتي في السورة، والفتن الَّتي في الواقع وتبدأ سورة الكهف

---

[١١] [عن النواس بن سمعان الأنصاري:] ذكر رسولُ اللهِ ﷺ الدَّجّالَ فقال إن يخرُجْ وأنا فيكم ! فأنا حجيجُه دونكم، وإن يخرُجْ ولست فيكم، فامرؤٌ حجيجُ نفسِه، واللهُ خليفتي على كلِّ مسلمٍ، فمن أدركه منكم فليقرأْ عليه فواتحَ سورةِ الكهفِ، فإنَّها جِوارُكم من فتنتِه. قلنا: وما لُبثُه في الأرضِ؟ قال: أربعون يومًا: يومٌ كسنةٍ ويومٌ كشهرٍ، ويومٌ كجمعةٍ، وسائرُ أيّامِه كأيّامِكم فقلنا: يا رسولَ اللهِ: هذا اليومُ الَّذي كسنةٍ أتكفينا فيه صلاةُ يومٍ وليلةٍ؟ قال: لا، اقدُروا له قدرَه، ثمَّ ينزِلُ عيسى بنُ مريمَ، عند المنارةِ البيضاءِ شرقيَّ دمشقَ فيُدرِكُه عند بابِ لُدٍّ فيقتُلُه
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح أبي داود ٤٣٢١ • صحيح

[١٢] [عن أبي سعيد الخدري:] من قرأ الكهفَ كما أُنزِلَت كانت له نورًا يومَ القيامةِ من مَقامِه إلى مكةَ، ومن قرأ عشرَ آياتٍ من آخرِها ثم خرج الدَّجالُ؛ لم يُسلَّطْ عليه، ومن توضأ ثم قال: " سبحانك اللهم وبحمدِك، لا إله إلا أنت، أستغفرك أتوبُ إليك "؛ كُتِبَ في رِقٍّ، ثم طُبِعَ بطابعٍ فلم يُكسَرْ إلى يومِ القيامةِ ".
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترغيب ١٤٧٣ • صحيح لغيره

وتقول: "الْحَمْدُ لِلَّهِ أن لديَّ وَحيٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ أنّنَا نحن الأمةُ الوحيدةُ المرتبطةُ بالسماءِ ارتباطًا حقيقيًا، ارتباطًا غير مُحرَفٍ، ولا مُبدَلٍ، الْحَمْدُ لِلَّهِ أنّ مَعي نورٌ من الله، الْحَمْدُ لِلَّهِ أن مَعي سبب، {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا}[آل عمران:١٠٣] فالْحَمْدُ لِلَّهِ أنّ مَعي حَبل أتمسك بِه، أن هذا القرآن سبب طرفه بأيديكم وطرفه بيد الله".

نعمة عظيمة أن يكون معك وَحي أن فتنة مثل الَّتي نحن فيها: مثلًا ابتلاء كورونا، وأزمات، وموت...إلخ، إنك تَعود للوحي تبحث، إنك تبحث عن البلاء، نظرية البلاء من خلال الوَحي، الحياة من خلال الوَحي، تخرج بسَكينة، فالإنسان ضعيف بغير وَحيٍ وأضعف من أنه يواجه ابتلاءات الحياة بغير وَحيٍ وبغير كلامٍ من خالقه وسيده ومولاه.

بدأت السورة {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ}، لم يتركنا هكذا!

أنزل على من؟

{عَلَىٰ عَبْدِهِ}.

وبالطبع كلمة "عَبْدِهِ" فيها تشريف ورفع مقام وأظن أن فيها إشارة وتعريض بالنصارى لأنهم قالوا -بعد ذلك...ماذا؟ -، {وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا}[الكهف:٤]، لا، هو ليس ولدًا لله!! هو عبدٌ لله -سبحانه وتعالى-.

إذًا أنزل القرآن على عبده، والاصطفاء: اصطفاء بشر للرسالة، وعلو مكانة، وعلو مقام وتعظيم، وشرف، ويشفع لنا يوم القيامة، هذا كله لا يعني أنه تجاوز مَرتبة العُبُودية، الكل عبدٌ لله -سبحانه وتعالى- الأنبياء، وأُولوا العزم من الرسل، يأتون يوم القيامة يقولون: "يا رب سَلِّم سَلِّم، حتى يَسجد النبي -صلى الله عليه وسلم- ويشفع.

فإذًا الكل عبدٌ لله سبحانه وتعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ}[لكهف:١]، فالنبي -صلى الله عليه وسلم-يحتاج إلى وَحي، البشر كلهم بصفوةِ الخلق يحتاجون إلى وَحي، كذلك في سورة الفرقان أي أنزلنا القرآن مُنجمًا مفرقًا، كذلك {لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ}[الفرقان:٣٢] فؤاد النبي -صلى الله عليه وسلم- يحتاج إلى وَحي {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ}، ثم من تمام النعمة ومن كمال النعمة أنه { لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا } ، وجعله قيمًا -سبحانه وتعالى-.

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ}، وهذا الكتاب أنا أريدك وأنت تقرأ فيه إن قُدِّر لك واستطعت أنك تقرأ في التفاسير ماذا يعني: {وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا}؟ هل لم يجعل له تحريفًا؟، هل هو ليس فيه عوج؟، هل هو موافق للحكمة؟

قِيل لا تناقض فيه، وقِيل دلالة على أنه مستقيم، وقِيل لا خلل فيه، وقِيل إنه أي فكرة ثانية خارج الوَحي، أي إذا كان أحدٌ...مثلًا القارئ في الحكمة، القارئ في الفلسفة، القارئ في الحكم الواردة من المتقدمين، أي شيء قد يكون في هَديِهِ عِوَج، لكن القرآن لا عِوَج فيه مطلقًا، أي حكمة في القرآن فهي يَقِينية مُطلقة –انتبه لهذه الكلمة– وكلُ حِكمةٍ خارج القرآن لا أقول هي يَقِينًا فيها عِوج، لا فقد تكون فيها عوج.

إذًا أكرر، كل حكمةٍ في القرآن هي ليس فيها عِوج هي حكمة يَقِينية مُستقيمة {إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[هود:٥٦] لن تضل، رشد، وكل حكمةٍ من خارج الوَحي كيف أتعامل معها؟

ألقيها...؟؟

لا أبدًا!

اعرضها على الوَحي وهذا أحد معاني "قَيِّمًا"، أن يُقيم هذه الأفكار –أذكر الخلاف في معنى قَيِّمًا– إذًا {وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا} أي لا يتطرق إليه خلل، موافق مليء بالحكمة الصحيحة المستقيمة.

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۜ *قَيِّمًا} كثير من العلماء قال، اختلفوا أصلًا في إعراب "قيمًا"، الإمام الواحدي في البسيط مثلًا يميل أن جميع المفسرين وأهل اللُغة يَميلون أن أصل الكلام [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ قيما وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۜ] أن {قيمًا} متعلقة بـ {أنزل} وأن هناك تقديم وتأخير.

أما القرطبي أشار في قول –أظن– على الضَّحاك واستبعد هذا وقال: "لا إن الترتيب والأصل إننا نترك الترتيب كما هو" {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۜ *قَيِّمًا..} وخلافٌ لغويٌ كيف تُعرَب قيمًا "حال لأنزل"، بالرغم أن هناك فصل، وهل هي "مبتدأ"، وهناك كلمة أخرى جعله قيمًا، وهناك محذوف، وخلاف طويل تجده في كتب التفاسير، والزمخشري اعترض، وغير ذلك – ارجعوا لذلك–.

لكن دعونا نسير أن نفسر معنى "قيمًا"، الأول عوج، اختلفوا هل يجب عندما أقول كلمة "عوج" يكون في المعاني والمحسوسات أم بكسر العين في المحسوس وبفتحها في المعاني أم العكس؟!

الإمام ابن عاشور بعد ما ذكر أقوال كثيرة وغيره مال أن المحققين قالوا لا فرق وأن العِوج يأتي في الاثنين، وعودوا لابن عاشور في كلمة عِوج، وحقيقةً ابن عاشور في المقدمة أبدع وذكر كلامًا طيبًا.

ماذا يعني قيمًا؟!

-الغالب على أن القيم بمعنى مستقيم، بمعنى أن الكلمة هنا لازمة ليست مُتعدِية، أي أنها وصف القرآن، هو كما هو ليس لهُ عِوج تأكيد للكلام أنه أيضًا مُستقيم.

-وقالوا لا، فكما ذكر الله الكمال {وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا} ذكر التَكمِيل، المعنى الذي أشار إليه أبو السعود قال كما ذكر الله الكمال {وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا} ذكر التكميل ف"قيم" فيها معنى التَعَدي أنه يُقيّم، يُكمل وهذا المعنى الَّذي أشار إليه ابن عاشور.

غالب المفسرين قالوا: "قيمًا" أي مستقيمًا، وكثير من أهل العلم قالوا: "قيمًا" أي مستقيمًا، وقد تحمل معنى التعدية، لذلك حتى ابن جزيل قال: "قيمًا" مستقيمًا -بدأ بها ثم قال- وقيل قيمًا على الخلق، وقيل قيمًا على سائر الكتب"، إذًا هناك معنى التعدي.

نعم نحن نريد القِيم على الخلق والقِيَم على سائر الكُتب يقيم أفعال الخَلق ويُقيم الكتب السابقة، وأي حكمةً أخرى نقيمها بماذا؟

نقيمها بالوَحي، بكتاب الله -سبحانه وتعالى-.

ثم قال الله -سبحانه وتعالى- أن مقاصد نزول القرآن ما هي؟

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ} الحمد لله {قَيِّمًا} الحمد لله، لماذا؟

لِيُنْذِرَ ويبشر.

إذًا من مقاصد القرآن البشارة والإنذار، دعوةٌ لا تحمل البشارة والإنذار-في مقاصدها- دعوةٌ فارغة، دعوةٌ لا تحمل في -مقاصدها وفي أمهات ما تُقدِّم- البشارة والإنذار هي دعوة فارغة.

القرآن أُنزل {لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا}[الكهف:٢] في هذا النعيم، أنا قلت صعب أن نسير بالطريقة التحلِيلِية كما فعلنا في سورة "الرعد"، نحن سنحاول أن نقف سويًا للمعاني التي في السورة.

يُبشِّر مَن؟

ليس أي أحد، {الَّذِينَ يَعْمَلُونَ}، وفي آخر السورة {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ}[الكهف:١١٠] السورة مرتبطة في البداية والنهاية مهمة جدًا، ومعنى الرُشد والزينة في أول السورة وفي آخر السورة، سبحان الله نسيت أن أقولها إن شاء الله عند ذكر للرشد سأشير إلى ختام السورة، نحن قلنا أن أول عشر آيات ختمت بالرشد، ولكن آخر عشرة آيات ما ارتباطها بمعنى الفتنة والنجاة والزينة والرُشد.. ما الارتباط بالأخصِ أن الفردوس ذُكِرت في النهاية وليس في البداية؟

سنشير -إن شاء الله- عند تفسير {وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}[الكهف:١٠].

{وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا * وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا}[الكهف:٢-٤] هنا شيء عجيب جدًا -وهذا ما دعا بعض المفسرين إلى التوقف-، فالله-عز وجل- لم يقل وينذر المشركين فالسورة مكية بل قال {وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا}، حقيقةً هذا أمر استوقفني كثيرًا، لماذا تحديدًا {الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا}؟! وخاصةً لو قلنا أنهم النصارى!

ووسَّع معناها المفسرون وقالوا أنهم المشركين لأنهم قالوا الملائكة بنات الله -عز وجل-، وأيضاً اليهود قالوا أن عُزيرًا ابن الله -عز وجل-، والنصارى قالوا أن المسيح ابن الله -تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا-، فوسعوا المفهوم.

وإذا أخذنا القول الثاني وهو -أنهم النصارى- فما دلالة {وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا}؟!

ثم يقول الله: {مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا}[الكهف:٥] هذه إشارات وتحتاج أن نربطها ببعضها وأنا أساعد في ذلك وإن شاء الله يأتي من يُفتح عليه في فهمها:

-من العجيب أن الذي سيقتل الدجال هو المسيح عيسى بن مريم، وأيضًا المسيح عيسى بن مريم هو الذي ذُكر في بداية السورة {وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا} هو عبد، وفي بداية السورة {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ}

-والمسيح -عليه السلام- خُلق بغير أسباب والدجال هو قمة السيطرة على الأسباب، فهي فتنة المادية، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (فتنة أُمَّتي المال)[١٣] وقد ذكرنا ذلك في سورة الرعد، فهذه الترابطات تحتاج إلى تثوير فأسأل الله أن يفتح علينا بعد ذلك ونجمع كل هذه الخيوط.

المسيح ينزل في آخر الزمان كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- سواء في شرقيّ دمشق -في روايات- ، وفي رواية عند باب بيت المقدس، وفي جمع بين الروايات أنه ينزل هناك ثم يذهب إلى بيت المقدس، وأنَّ الدجال سيذهب إلى المدينة ومكة فيُصرف عنهما ولا يستطيع أن يدخلهما، ويشار له أن المعركة النهائية عند الشام فيذهب عند الشام فلا يستطيع، فبمجرد أن يدخل عند بيت المقدس يكون المؤمنون مجتمعين يصلون الفجر فيتقدم أحدهم فينزل عيسى -عليه السلام- فيقدّمه فيقول له عيسى -عليه السلام-: "تقدم أنت إنَّما أقيمت لك"، فبعد انتهائهم من الصلاة يخرج، مشهد عجيب (ومن صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله)[١٤] ، فيُحفظون فيخرج عيسى -عليه السلام- ليقتل الدجال فبمجرد أن يراه الدجال يذوب -تخيّل رؤية عيسى تجعل الدجال يذوب! -، و في روايات أنه قال: "إنّ لي فيك ضربة لن تخطئك" وأصرَّ على قتله ثم قتَله، وأراهم الحرْبة التي عليها الدم.

وكان من الممكن أن يهلكه الله -عز وجل- بأي سبب آخر أو أحد المؤمنين يسلط عليه، ولكن كون عيسى -عليه السلام- الذي خُلق بغير سبب -قد يكون فيه إشارات- هو الذي يقتل الدجال، وهو

[١٣] [عن كعب بن عياض:] إن لكلّ أمةٍ فتنةً، وإن فتنةَ أمتي المالُ.
الدارقطني (ت ٣٨٥)، الإلزامات والتتبع ٩٨ • [يلزمهما إخراجه] البخاري ومسلم

[١٤] عن [جندب بن سفيان]: مَن صلّى الصُّبحَ في جماعةٍ فَهوَ في ذمَّةِ اللَّهِ فانظرْ يا ابنَ آدمَ لا يطلبنَّكَ اللَّهُ بشيءٍ مِن ذمَّتِهِ
الزرقاني (ت ١١٢٢)، مختصر المقاصد ١٠٤٤ • صحيح

الذي أوتي قمة السيطرة أمام الناس، فيقول للسماء أمطري فتمطر ويقول للأرض أخرجي من الخيرات، ويُظهر للناس الكنوز –قمة السيطرة–، يأتي عيسى عليه السلام هو الذي يقتله.

ثم تفتن الناس في عيسى –عليه السلام– بكلمة {وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ}[التوبة:٣٠]، {كَبُرَتْ كَلِمَةً} كلمة خطيرة ضلّت بسببها آلاف من الناس وملايين من البشر، ضلوا بسبب كلمة {كبرت كلمة} خطورة الكلمة الخاطئة التي قد تفتن ملايين البشر، لذلك فالقرآن هو كلمات الحق التي تبين زيف كلمات الباطل فالقرآن وكأنه هو العصا الذي يفضح كلمات السحر.

ومعنى الكلمة وخطورة الكلمة وقيمة الكلمة وكيف أن كلمات القرآن تفضح تزييف الباطل، أبدع فيها "الدكتور فريد الأنصاري" –رحمه الله– في مقدمة كتاب (مجالس القرآن–الجزء الأول–) فعودوا إليه واقرأوا فيه عن قيمة الكلمة وكيف أن الله –سبحانه وتعالى– قال عن المسيح أيضًا "كلمة الله" ألقاها إلى مريم، وهنا في سورة الكهف قال "كَبُرَتْ كَلِمَةً"، وكيف أن الدجال يُهلَك بهذه الكلمة!!

{وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ} هنا التعليم على فحص الأمور والتثبُّت منها؛ فتقليد الآباء لا يعني أنهم على الحق {وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً} توارثوها {تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ} لا دليل عليها {إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا}.

وآخر الدرس هنا: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا}[الكهف:٦]

"**البخع**" أن تذبح نفسك أو تقتل نفسك، واختُلف في أصل الكلمة، وقيل: "الأرض التي تكرر زراعتها حتى لم يعد فيها مساحة لإخراج الثمرات أو ضعفت بُقعتها"، وقيل: "أنّه عِرق في آخر القفا فهو الذي يُذبح حتى آخر شيء –الذبح الكامل–"، وابن عاشور وغيره أشار إلى أن هذا المعنى لم يذكره إلّا صاحب الكشّاف –الزمخشري– وبعضهم ردّ عليه ودافع عنه ابن عاشور ثقةً في الزمخشري.

المهم أن البخع هو: الذبح الكامل المطلق فأنت تذبح نفسك؛ والداعية عندما يرى انتشار الفتنة والزينة يحزن، تخيل أنك في زمن الدجال –ولم التخيل– بل إن في زماننا هذا دجاجلة صغار كما أخبر عنهم النبي –صلى الله عليه وسلم– أن هناك دجاجلة صغار سيأتون ويتَّبعهم الناس؛ فتستغرب أن برنامجًا يقدم دجلًا يتبعه ملايين من الناس، فيضغط ذلك عليك نفسيًا وتكاد أن تموت، وتريد أن تناديهم كما سيأتي في ختام السورة: {الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا}[الكهف:١٠١]

فأغلَقوا كلَّ الوسائل للنصح، فالمنبهر بالدجال وبصرخاته وزينته فأنت تنادي عليه فلا يسمع وتريد أن تجعله يبصر فلا يبصر، والمشكلة أنهم {ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فيتعب ويجتهد في الدنيا {وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} معتقدًا أنه بهذا على الحق وأنت تناديه {الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ}، فلم تكن أعينهم مغطاة فحسب بل هي في غطاء عن ذكري، فسورة الكهف تنزع هذا الغطاء وتعطينا هذه النظارة الحقيقة القرآنية لرؤية الواقع على حقيقته.

{الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا} فسورة الكهف تنزع هذا الوِقر وتنزع هذا الصَّمم وتفكُّ هذا الثِّقل لكي يستطيع الإنسان أن يسمع الآيات ويسمع كلام الدجال ويبصر حقيقته، والأصل أن نبتعد عن الفتنة قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (من سمع عن الدجال فليناً عنه فوالله إن الرجل ليأتيه ويحسب أنه مؤمن)[١٥] ، فالإنسان لا يجب أن يثق في نفسه- (فيتَّبعه على ما يبعث به من الشبهات)، فمثلًا تجد شخصًا يقول أنه سيدخل إلى هذه المواقع، ويرد على الإلحاد، وهو لم يُبنَى ولم يُحصِّل ما يكفيه من الإيمان، فيُفتن ويكون من أتباع الدجاجلة الصغار، ثم يكون من أتباع الدجال الكبير.

{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ} هنا -إن صحَّ التعبير- يمكن نسميه أنه **"تربية نفسية للداعية"** كيف ذلك؟

أي أن القرآن يقوم بنوع من التربية النفسية للداعية فيحثُّه على عدم التبذير النفسي، مثل وجود التبذير الدعوى فالطاقة النفسية لا تُبذَّر.

{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ} ذكر المفسرون أن هذه الآية أشبه بمثل شخص كان يتكلم مع أناس ويصرخ فيهم وحريص عليهم، ثم تركوه وذهبوا وهو يقف على بقايا الآثار وحزين على فراقهم {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ}، وليس وهم موجودون بل {عَلَى آثَارِهِمْ} كأنهم تركوه وذهبوا وهو -صلى الله عليه وسلم-من شدة حرصه ومن رحمته بالخلق -صلى الله عليه وسلم- يأسَف لانصرافهم ولإعراضهم.

{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ} وهو الوحي الذي أنزلته عليك وهو والنور {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ}، فيبين الله -عز وجل- له {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ

[١٥] [عن عمران بن الحصين:] من سمعَ بالدَّجّالِ فليناً عنهُ من سمعَ بالدَّجّالِ فليناً عنهُ من سمعَ بالدَّجّالِ فليناً عنهُ فإنَّ الرَّجلَ يأتيهِ وَهوَ يحسَبُ أنَّهُ مؤمنٌ فما يزالُ بِهِ بما معَهُ من الشُّبَهِ حتّى يتَّبِعَهُ
ابن مفلح (ت ٧٦٣)، الآداب الشرعية ٢٢٠/١ • إسناده جيد • أخرجه أبو داود (٤٣١٩)، وأحمد (١٩٩٦٨) باختلاف يسير

زِينَةً لَهَا} -وهذا **ملخَّص السورة**- {لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا} [الكهف:٧-٨].

الدرس القادم -إن شاء الله- سنشرح فيه: ماذا تعني {لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}؟

وسنشرح كيف بدأت مقدمة قصة أصحاب الكهف ونحاول قدر المستطاع أن نُجمِل المعاني الواردة في قصة أصحاب الكهف مع بعض الإشارات والوقفات في الآيات، وكما قلت أنه من الصعب أن نفسر السورة تفسيرًا تحليليًا، كي لا يطول الوقت وتطول الحلقات، لكي نأخذ سورة في كل أسبوع.

أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعلنا من الراشدين الذين يرون الأشياء على حقيقتها، اللهم اصرف عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم اجعلنا من أصحاب سورة الكهف ومن أهل سورة الكهف ومن أهل القرآن.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وجزاكم الله خيرًا.